

الإعجاز العلمي

و

الدعوة إلى الله

جمع وإعداد/

عبد الكريم علي عبده الفهدي

alfhdea@gmail.com

غفر الله له ولوالديه وزوجه وجميع المسلمين

١٤٣٢هـ / ٢٠١٢م

حقوق الطبع لكل مسلم

مراجعة

د . قسطاس إبراهيم النعيمي – الشيخ/ مرفق ناجي الياسين

الشيخ/ رياض عيدروس – الشيخ/ محمد نعمان البعداني

الحمد لله رب العالمين القائل:

[الإسراء: ١٠٥] والقائل سبحانه:

[فصلت: ٥٣] والقائل سبحانه:

[الحج: ٥٤]

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وقائدنا وقدوتنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أرسله الله بالهدى ودين الحق، قال تعالى:

[الفتح: ٢٨]

وبعد:

فقد أرسل الله رسوله صلى الله عليه وآله والسبب في ذلك كما قال تعالى:

[الفتح: ٢٨] والنتيجة كما قال تعالى:

[الإسراء: ٨١] وقال تعالى:

[الأنبياء: ١٨]، وقد أيد الله نبيه، بالمعجزة العظمى والحجة البالغة الباقية إلى قيام الساعة، والتي

أخبرنا عنها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«(١)»

«فمعجزات الأنبياء انقضت بانقراض اعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه العادة في أسلوبه، وبلاغته، وأخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من العصور إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر أنه سيكون ما يدل على صحة دعواه، والمعجزات الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار كناقاة صالح، وعصا موسى، أما معجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لأجلها أكثر، لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقض بانقراض مشاهدته، والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمرا»^(٢)

والحديث الذي سبق ذكره من المبشرات لهذا الدين، وكذلك من المبشرات حديث تميم الداري، قال:

«سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "»

١ - أخرجه البخاري في صحيحه، ٤/ ١٩٠٥، برقم: ٤٦٩٦.

٢ - الخصائص الكبرى للسيوطي، ١/ ١٨٥، بتصرف.

"(١) وذلك لعظم المعجزة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم"
"(٢)."

فهذا البحث لإظهار الحق، والدعوة إليه، والرد عن الشبهات، وإظهار فوائد الإعجاز العلمي، والدعوة إلى الله بين المسلمين، وعند غير المسلمين، عن طريق الحقائق العلمية. ونسأل الله عز وجل أن يوفقنا لذلك، وأن ينفعنا به والمسلمين، وأن يصلح لنا هذا العمل، ويتقبله بقبول حسن، وأن يتجاوز سبحانه عما وقع فيه من خطأ أو زلل أو سهو أو غفلة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ونبه إخواني أن هذا الكتاب لا يخلوا من أخطاء وتقصير كغيره من الكتب ولكن نتعاون في إصلاح وإظهار هذه الأخطاء وفي تبني أي مقترح يساعد على الوصول للأفضل حتى يستفيد منه المهتمين بمواضيع الإعجاز العلمي وحيث وأن هذا البحث يدرس حالياً في قسم الإعجاز بجامعة الإيمان

alfhdea@gmail.com

١ - أخرجه أحمد في مسنده، ٤ / ١٠٣، برقم: ١٦٩٩٨، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

٢ - أخرجه البخاري في صحيحه، ٤ / ١٩٠٥، برقم: ٤٦٩٦.

Á ÿ à À Ý ÿ · À î É

عملاً بقول الله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ...﴾ [إبراهيم: ٧] وقوله تعالى: ﴿وَأِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ...﴾ [الزمر: ٧] وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"^(١) فإني أتوجه بالشكر والثناء لله تعالى على نعمه المتكررة التي لا تحصى، ومن نعم الله علي أن يسر لي وأعانني على إتمام هذا البحث وإخراجه بالصورة التي بين أيدينا، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وله الشكر في الأولى والأخرى.

وبعد الثناء على الله تعالى، فإني أتوجه بالشكر والتقدير لجامعة الإيمان التي أتاحت لنا الفرصة بالدراسة في أحضانها، ووفرت لنا كل ما نحتاجه أثناء دراستنا فيها، وللعاملين المخلصين الشكر والتقدير وعلى رأسهم مؤسس هذه الجامعة المباركة ورائد الإعجاز العلمي في العصر الحديث الشيخ الدكتور: عبد المجيد بن عزيز الزنداني حفظه الله ورعاه وقد استفدت منه مباشرة في كتابة هذا الموضوع من خلال محاضراته لنا أثناء الدراسة خلال سبع سنوات، ومن خلال اللقاءات المتكررة معه بعد ذلك في وضع الخطوط العريضة لهذا البحث، وبعض الشروح لبعض المباحث فجزاه الله خيراً وجمعنا الله به وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم في مستقر رحمته

كما أخص بالشكر والتقدير الباحثين في مركز البحوث

د . قسطاس إبراهيم النعيمي - الشيخ / مرفق ناجي الياسين

الشيخ / رياض عيدروس - الشيخ / محمد نعمان البعداني

في مراجعة عدد من المباحث في هذا الكتاب فجزاهم الله خير الجزاء

كما لا يفوتني أن أشكر كل من تعاون معي لإعداد هذا البحث، فجزى الله الجميع خيراً وأجزل لهم الأجر والمثوبة في الدنيا والآخرة.

وسوف نتطرق في هذا الكتاب إلى تعريف الإعجاز والمعجزة والدعوة إلى الله وتبيين أهمية المعجزات في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفي الزمن الذي بعده، وأهمية الإعجاز العلمي في الدعوة إلى الله .

-أخرجه الترمذي في سننه، ٤ / ٣٣٩ قال فيه الشيخ الألباني: صحيح لغيره ، ومسند أحمد

٢٥٨/٢ وفيه تعليق شعيب الأرناؤوط بقوله: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح.

الإعجاز: «مشتق من العجز، والعجز: الضعف أو عدم القدرة»^(١) ومنه الرجل العجوز، والمرأة العجوز، وهما اللذان وصلا مرحلة الشيخوخة^(٢)، «والإعجاز مصدر أعجز: وهو بمعنى الفوت والسبق»^(٣).

«والمعجزة في اصطلاح العلماء: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة»^(٤)، والألفاظ المستخدمة قرآنيًا في الدلالة على هذا المعنى: الآية - البينة - البرهان - السلطان :

والعلمي نسبة إلى العلم
والعلم: «هو إدراك الأشياء على حقائقها، أو هو صفة ينكشف بها المطلوب انكشافاً تاماً»^(٥)،
والمقصود بالعلم في هذا المقام: العلم التجريبي (العلم الكوني)

« هو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا مما يظهر صدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن ربه سبحانه»^(٦) Á

الدعوة المرة الواحدة من الدعاء^(٧)، وهي الدعاء إلى شيء ما والترغيب فيه والحث عليه كما في قوله:
[يونس: ٢٥] أي: يرغب في

الجنة.

١ - لسان العرب، ٥/٣٦٩.

٢ - لسان العرب، ٥/٣٦٩، مع التصرف.

٣ - انظر لسان العرب لابن منظور (مادة عجز) ٥/٣٧٠ ط دار بيروت، والمفردات للراغب الأصفهاني ٣٢٢.

٤ - انظر معنى ذلك في تفسير القرطبي ١/٩٦ وفتح الباري ٦/٥٨١.

٥ - راجع الراغب الأصفهاني: المفردات ص ٣٤٣، والشوكاني: إرشاد الفحول، ٤.

٦ - تأصيل الإعجاز العلمي للشيخ عبد المجيد الزنداني: ٥.

٧ - لسان العرب، ١٤/٢٥٧.

وهذا يوضح أن موضوع الدعوة هو الإسلام كله عقيدة وشريعة وأخلاقاً ومعاملة، وأن المدعوون هم جميع الناس كل بحسبه فالكافرون يُدعون إلى الإسلام، والمقصرون يُدعون إلى صدق الالتزام، والعصاة يُدعون إلى ترك الذنوب والآثام وهكذا .

قال ابن تيمية في تعريف الدعوة إلى الله: «الدَّعْوَةُ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُ، بِتَصْدِيقِهِمْ فِيَمَا أُخْبِرُوا بِهِ وَطَاعَتِهِمْ فِيَمَا أُمُّرُوا، وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ الدَّعْوَةَ إِلَى الشَّهَادَتَيْنِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَصَوْمَ رَمَضَانَ، وَحَجَّ الْبَيْتِ وَالِدَّعْوَةَ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ»^(١)

وعرّفها بعض المعاصرين بقوله: «تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة»^(٢)

وعرفها الإمام الطبري بقوله الدعوة: «هي دعوة الناس إلى الإسلام بالقول والعمل»^(٣).

بعد أن عرفنا معنى الإعجاز العلمي ومعنى الدعوة إلى الله فالمقصود بالإعجاز العلمي والدعوة إلى الله: الدعوة إلى الإيمان بالله وبما جاءت به الرسل عن طريق المعجزات العلمية التي احتوت عليها الشريعة المحمدية.

فبعد ظهور النهضة في أوربا تبنى قانون المعرفة العلمية في كل الجامعات والمدارس ومراكز الأبحاث العلمية وتم تطبيق هذا القانون في كل أنحاء العالم

وهو: التجربة + الملاحظة + الاستنتاج ° الحقيقة العلمية

أو الظاهرة المشاهدة + الاستنتاج ° الحقيقة العلمية

فهذا القانون الذي اعتمده للوصول إلى الحقيقة هو ما دعا إليه الخالق في كتابه الكريم بقوله تعالى:

[محمد: ١٩] وأخبرنا عز وجل في كتابه الكريم أن الكفار يحتاجون إلى

بينات حتى يتركوا الدين الباطل، وينقادوا للحق، قال تعالى **آ**

[البينة: ١]

ولما كانت رسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عامة إلى البشرية جمعاء ومستمرة إلى قيام الساعة

تنوعت هذه البينات^١ لتناسب الزمان والأقوام، قال صلى الله عليه وآله وسلم:

١ - مجموع فتاوى ابن تيمية، ١٥/١٥٧.

٢ - المدخل إلى علم الدعوة، ٢/١٧.

- تفسير الطبري، ١١/٥٣.

"^(١) فالوحي الذي أوحاه الله إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم دليل على صدقه، ويشاء الله أن يكون عصرنا عصر العلم بما يحويه من مدارس وجامعات ومراكز أبحاث، وإذا به بأبحاثه المتنوعة في الزمان والأشخاص يصل في النهاية إلى إظهار صدق ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وحتى هذه النتيجة غير مستغربة فقد أخبرنا الله عز وجل عنها بقوله:
[فصلت: ٥٣] فهذه الآية إشارة إلى أن أدوات

البحث العلمي ستتطور حتى يصلوا إلى مرحلة الرؤية والنتيجة بعد ذلك
[فصلت: ٥٣].

١ - أخرجه البخاري في صحيحه، ٤/ ١٩٠٥، برقم: ٤٦٩٦.

قال تعالى:

[فصلت: ٥٣]

وقال تعالى:

[النمل: ٩٣]

:

:

-١

وذلك مثل معجزة الإسراء والمعراج الإسراء إلى بيت المقدس قال تعالى

[الإسراء: ١].

عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(١)

والإسراء والمعراج كَانَ بعد موت أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم، وبعد موت خديجة، وبعد أن ذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وردّه أهلها، وهو العام الذي يسمى عام الحزن، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لقي فيه الأذى الشديد والألم والتعب، فَمَنْ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ بِهَذِهِ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ، وَهَذِهِ الْمَشَاهِدِ وَهَذَا الْمَقَامِ الرَّفِيعِ الَّذِي لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ بَشَرٌ؛ تَسْلِيَةً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ آيَاتٍ عَظِيمَةٍ قَالَ اللهُ تَعَالَى: [النجم: ١٨] فَأَرَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ آيَاتٍ عَظِيمَةٍ فَفُجِرَ عَنْهُ

صلى الله عليه وسلم الهمَّ وسُرِّي عنه، وعاد وقد استيقن بربه وبلقائه، وأن ما يوحى إليه هو الحق أكثر من ذي قبل، وعاد صلى الله عليه وسلم وقد شد العزم على أن يبلغ دعوة ربه، وأن لا يبالي بالناس مهما صدوه، بعد ما رأى ما رأى من الأنبياء ومن الكرامة التي نالها، فوقعه في ذلك التاريخ فيه حكم عظيمة.^(٢)

- 2

È ÐÁ Á Æ Á Á
È ÐÁ Á Æ Á

كما كان للمعجزة أثر في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت فؤاده كان لها الأثر العظيم في زيادة إيمان المؤمنين وتثبيتهم عليه لما رأوا فيها من دلائل واضحة على صدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك ما أطلع الله نبيه عليه من الغيوب التي له؛ خير كتاب حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه الذي أرسله إلى قريش مع امرأة، يخبرهم فيه بعزم النبي صلى الله عليه وسلم على غزو مكة فلما كشف الله ذلك لنبيه؛ بعث علياً والزبيرَ والمقدادَ بنَ الأسود، وقال: "

"

وقال: "

(١) (٢)

وقبل أن يغادر النبي صلى الله عليه وسلم أرض خيبر حقق آية أخرى تدل على نبوته ورسالته، فقد شفى الله بنفته ساق سلمة بن الأكوع الذي أصيب في الغزوة، يقول يزيد بن أبي عبيد: رأيت أثرَ ضربةٍ في ساق سلمة، فقلت: يا أبا مسلم، ما هذه الضربة؟ فقال: هذه ضربة أصابني يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة،

(٣)

إن الجموع التي رأت ساق سلمة مضرجة بدمائها، ثم رأوه لا يشتكي منها المأً ولا وجعاً ببركة ريق النبي صلى الله عليه وسلم ونفته عليها، إن هذه الجموع لا يسعها أمام هذه المعجزة الباهرة إلا أن تشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة، إذ مثل هذا لا يقدر عليه بشر، إنه دليل من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم .
ومن هذه المعجزات التي تؤدي إلى تثبيت إيمان المؤمنين وزيادة وكشف الضر عن المسلمين صلى الله عليه وسلم .

وإن من المعجزات الخارقة لعادات البشر التي تشهد بالنبوة للأنبياء ما يجعله الله على أيديهم من البركة التي ينتفع بها الناس.

وقد كثرت في ذلك الأخبارُ وتكاثرت وهي تتحدث عما كتب الله من تكثير القليل ببركة نبيه صلى الله عليه وسلم، وحملتها إلينا الأسانيد الصحاح التي بلغت بها مبلغ التواتر، قال النووي: «وقد تظاهرت أحاديثُ آحادٍ بمثل هذا، حتى زاد مجموعها على التواتر، وحصل

É Á Æ
É Á ÐÁ Á Æ Á

É Á ÐÁ Á Æ Á

العلم القطعي بالمعنى الذي اشتركت فيه هذه الآحاد، وهو انخراق العادة بما أتى به صلى الله عليه وسلم من تكثير الطعام القليل الكثرة الظاهرة، ونبع الماء وتكثيره، وتسييح الطعام، وحنين الجذع وغيره...^(١).

وأعجب منه ما رآه جابر في يوم آخر، وذلك يوم الخندق، فقد رأى بالنبي صلى الله عليه وسلم جوعاً شديداً، يقول: فانكفأْتُ إلى امرأتي، فقلتُ لها: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم حمصاً شديداً، قال: فأخرجت لي جراباً فيه صاعٌ من شعير، ولنا بهيمةٌ داجنٌ، فذبحتُها...

ثم وليتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت امرأةُ جابر: لا تفضحني برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه.

لقد خشيتُ أن يدعو جمعاً لا يكفيه الطعام، فتفضح بين النساء بعجزها عن إطعامهم.

يقول جابر: فجئتُه صلى الله عليه وسلم فسارزته، فقلتُ: يا رسول الله، إنا قد ذبحنا بهيمة لنا، وطحنُ صاعاً من شعير كان عندنا، فتعال أنت في نفرٍ معك.

يقول جابر: فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: "

"

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر: "

:

(٢)

لقد أطعم النبي صلى الله عليه وسلم ألف رجل من طعام لا يكاد يكفي البضع من الرجال، يقول النووي: «حديث طعام جابر فيه أنواع من فوائد وجمل من القواعد: منها: الدليل الظاهر والعلم الباهر من أعلام نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم... وقد تضمن هذا الحديث علمين من أعلام النبوة: أحدهما: تكثير الطعام القليل، والثاني: علمه صلى الله عليه وسلم بأن هذا الطعام القليل الذي يكفي في العادة خمسة أنفسٍ أو نحوهم سيكثر، فيكفي ألفاً وزيادة، فدعا له ألفاً [أي من أصحابه] قبل أن يصل إليه، وقد علم أنه [أي طعام جابر] صاع شعير وبهيمة»^(٣).

É Ð Á Æ Á
Á Á Á Á Ð Á Á Æ Ð Á Á Á Æ Á
É Ð Á Æ Á

ومنه أنه صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يعذبون بالنار والحديد في بطحاء مكة، وفيهم خباب بن الأرت، الذي تقدم إليه شاكياً فقال: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "

"

ثم بشره النبي صلى الله عليه وسلم ببشارة عظيمة مذهلة فقال: "

"(١)

إنه صلى الله عليه وسلم يتنبأ بتمام أمر دينه، وبأمن أصحابه في زمن ما كانوا يجروون فيه على إعلان دينهم خوفاً من بطش قريش وعذابها. وفي اليوم السابق ليوم بدر تفقد رسول الله أرض المعركة المرتقبة، وجعل يشير إلى مواضع مقتل المشركين فيها، ويقول: "

قال أنس:

"(٢)

وهذا الحديث من أعلام النبوة ومعجزاتها، وذلك لإنبائه صلى الله عليه وسلم بمصرع جبارتهم، وتحديد أماكنهم، وقد وقع كما أخبر صلى الله عليه وسلم

- 4

صلى الله عليه وسلم

وإن من دلائل النبوة حماية الله لأبيائه، وإنجاؤه لمن شاء منهم من أيدي أعدائهم، رغم ما يترتب بهم السفهاء من سوء.

تقول عائشة رضي الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية: [المائدة: ٦٧]، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من

"(٣)

القبّة، فقال لهم: "

وفي الآية دليلان من دلائل النبوة، أولهما: إخبار الله له بحفظه صلى الله عليه وسلم، وقد كان. قال الماوردي: "فمن معجزاته: عصمته من أعدائه، وهم الجُمُ الغفير، والعددُ الكثير، وهم على أتم حنقٍ عليه، وأشدُّ طلبٍ لِنفيه، وهو بينهم مسترسلٌ قاهر، ولهم مخالطٌ ومكاثِر،

	È	K	Á	Đ	Á	Á	Á	Æ
		È	Á	K	Á	Đ	Á	Æ
È	Á		Á	Á	K	Á	Đ	Æ

ترمّثه أبصارهم شزراً، وترتد عنه أيديهم دُعرأً، وقد هاجر عنه أصحابه حذراً حتى استكمل مدته فيهم ثلاث عشرة سنة، ثم خرج عنهم سليماً، لم يكلم في نفسٍ ولا جسد، وما كان ذاك إلا بعصمة إلهية وعده الله تعالى بها فحققتها، حيث يقول: ﴿فَعَصَمَهُ مِنْهُمْ﴾^(١).

والدليل الآخر في الآية من دلائل النبوة، يظهر لمن عرف أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مقصوداً بالقتل من أعدائه، فكان الصحابة يحرسونه خوفاً عليه، فلما نزلت الآية صرفهم عن حراسته، ليقينه بما أنزل الله إليه، ولو كان دعياً لما غر بنفسه، ولما عرض نفسه للسوء. وقد صدق المستشرق بارتلمي هيلر في قوله: «لما وعد الله رسوله بالحفظ بقوله: ، صرف النبي حراسه، والمرء لا يكذب على نفسه، فلو كان لهذا القرآن مصدر غير السماء لأبقى محمد على حراسته»^(٢).

ويحدث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركتهم نومة القيلولة في وادٍ كثير الشجر. يقول جابر: فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس، يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة، فعلق بها سيفه، فبينما نومة، ثم إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فجئناه، فإذا أعرابيٌّ جالس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " :
" ثم لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم. :
وفي رواية لأحمد :

س. (٣)

È Á Æ Á
È Á Á Á Á Á Á Á Æ
Á Á Á Æ
Á Á Á Æ
Á Á Á Æ
Á Á Á Æ
Á Á Á Æ

وحتى يقيم الله حجته على الناس؛ فإنه أتى نبيه صلى الله عليه وسلم معجزات كثيرة منها معجزة من جنس ما طلبوه على سبيل التعجيز، ألا وهي انشقاق القمر، وهو حدث عظيم لا يقع إلا بتقدير العزيز العليم.

فقد روى الشيخان وغيرهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال:

: " (١)

قال الخطابي: «انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء، وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجاً من جلبة طباع ما في هذا العالم، فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة، فلذلك صار البرهان به أظهر»^(٢).

قال ابن كثير بعد أن ساق روايات عدة لحادثة انشقاق القمر: «فهذه طرق عن هؤلاء الجماعة من الصحابة، وشهرة هذا الأمر تغني عن إسناده، مع وروده في الكتاب العزيز. والقمر في حال انشقاقه لم يزايل السماء، بل انفرق باثنتين، وسارت إحداهما حتى صارت وراء جبل حراء، والأخرى من الناحية الأخرى، وصار الجبل بينهما، وكلتا الفرقتين في السماء، وأهل مكة ينظرون إلى ذلك، وظن كثير من جهلتهم أن هذا شيء سُحرت به أبصارهم، فسألوا من قدم عليهم من المسافرين، فأخبروهم بنظير ما شاهدوه، فعلموا صحة ذلك وتيقنوه»^(٣).

صلى الله عليه وسلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومعلوم أن من عوَّده الله إجابة دعائه، لا يكون إلا مع صلاحه ودينه، ومن ادَّعى النبوة، لا يكون إلا من أبرّ الناس إن كان صادقاً، أو من أفرهم إن كان كاذباً، وإذا عوَّده الله إجابة دعائه، لم يكن فاجراً، بل برّاً، وإذا لم يكن مع دعوى النبوة إلا برّاً، تعيّن أن يكون نبياً صادقاً، فإن هذا يمتنع أن يتعمد الكذب، ويمتنع أن يكون ضالاًً يظن أنه نبي" ^(٤).

Á	ĐÁ	Á ÁÁ	ÁÁ	K Á	ĐÁ	Á Á Á	Æ	
							È	K
						È ĐÁ	Æ	Á
						È ĐÁ	Æ	Á
						È ĐÁ	ÆÁ	

كان حال خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، فقد سجد صلى الله عليه وسلم ذات مرة، فوضع المشركون سلاً الجزور وقذرها على ظهره الشريف، وأخذوا يتضحكون، فدعا عليهم عليه الصلاة والسلام وقال: " ثلاث مرّات.

يقول ابن مسعود: فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: وذكر السابع ولم أحفظه، فوالذي بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق، لقد رأيتُ الذين سمّي صرعى يوم بدر، ثم سُحبوا إلى القليب، قليب بدر.^(١)

قال ابن حجر: "وهذا يحتمل أن يكون من تمام الدعاء الماضي، فيكون فيه علمٌ عظيم من أعلام النبوة".^(٢)

إن أعظم دلائل النبوة القرآن الكريم، كتاب الله الذي أعجز الأولين والآخرين. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"(٣)

قال ابن حجر في معنى قوله: " : "أي أن معجزتي التي تحدّث بها، الوحي الذي أنزل عليّ، وهو القرآن". ثم لفت رحمه الله النظر إلى أنه ليس المراد من الحديث حصر معجزاته صلى الله عليه وسلم في معجزة القرآن الكريم فقال: "بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختصّ بها دون غيره صلى الله عليه وسلم"^(٤).

وقال ابن كثير في معنى الحديث: " معناه أن معجزة كل نبي انقضت بموته، وهذا القرآن حجة باقية على الآباد، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا يشبع منه العلماء،

Á	K	Á	ĐÁ	Á	ÁÁ	Á	ÁK	Á	Đ	Á	Á	Á	È	
													È	Á
										È	ĐÁ	Á	Æ	Á
	Á	K	ĐÁ	Á	ÁÁ	Á	K	Á	ĐÁ	Á	Á	Á	Æ	
												È	Á	
										È	ĐÁ	Á	Æ	Á

هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله" (١).

وقال ابن القيم في سياق حديثه عن معجزات الأنبياء: "وأعظمها معجزة كتاب باقي غض طري لم يتغير، ولم يتبدل منه شيء، بل كأنه منزل الآن، وهو القرآن العظيم، وما أخبر به يقع كل وقت على الوجه الذي أخبر به" (٢).

:

:

: كل الصحابة الذين أسلموا في وقت الرسول بسبب المعجزات ودلائل النبوة

والتي تشهد بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿

[البينة: ١].

: للذي عرف الحق ولم يتبعه ويظهر ذلك جلياً بما رواه ابن إسحاق عن أم

المؤمنين صفية رضي الله عنها قال ابن إسحاق: حدثت عن صفية بنت حيي بن أخطب أنها قالت: كنت أحب ولد أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه. قالت: فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي؛ حيي بن أخطب، وعمي أبو ياسر بن أخطب مُعَلِّسِينَ، قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كَالَيْنِ كَسْلَانِينَ سَاقِطِينَ بِمَشِيَانِ الْمُؤَيِّي. قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التففت إلى واحد منهما، مع ما بهما من الغم. قالت: وسمعت عمي أبا ياسر، وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت. (٣)

وعن ابن إسحاق عن طريق الزهري قال: حدثت أن أبا جهل و أبا سفيان و الأحنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو يصلي بالليل في بيته و أخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى إذا أصبحوا أو طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا لو راكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة

È ÐÁ

Æ

Á

È ÐÁ

Æ Á

È ÐÁ

Æ Á

الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقالوا: لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما أصبح الأحسن بن شريق أخذ عصا ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال: حدثني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد فقال: يا أبا ثعلبة و الله لقد سمعت أشياء أعرفها و أعرف ما يراد بها و أشياء ما أعرف معناها و لا ما يراد بها فقال الأحسن: و أنا و الذي حلفت له ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن و بنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا و حملوا فحملنا و أعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثنا على الركب و كنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى تدرك هذه؟ و الله لا نؤمن به أبدا و لا نصدقه فقام عنه الأحسن بن شريق^(١)

وجاء في صحيح البخاري يخبرنا عن هرقل ملك الرومان حيث أنه عرف الرسول صلى الله عليه وسلم لكنه لم يسلم خاف على ملكه^(٢)

عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَحْبَبَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَحْبَبَهُ أَنَّ هِرْقُلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانُوا تَجَارًا بِالشَّامِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادًّا فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عِظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بَرْتَجَمَانِهِ فَقَالَ أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا فَقَالَ أَذْنُوهُ مِنِّي وَفَرَّيْتُوْا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ لِتَرْتَجَمَانِهِ قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَأَلْتُ هَذَا عَنِ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذَّبُوهُ فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْتُرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَّبْتُ عَنْهُ ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ كَيْفَ نَسَبُهُ فَيَكُفُّمُ قُلْتُ هُوَ فِينَا دُوْ نَسَبٍ قَالَ فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ قُلْتُ لَا قَالَ فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ لَا قَالَ فَأَشْرَفُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضَعْفَاؤُهُمْ فَقُلْتُ بَلْ ضَعْفَاؤُهُمْ قَالَ أَيَّرِيدُونَ أَمْ يَنْفُصُونَ قُلْتُ بَلْ يَرِيدُونَ قَالَ فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخَطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ قُلْتُ لَا قَالَ فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّبِعُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ قُلْتُ لَا قَالَ فَهَلْ يَغْدِرُ قُلْتُ لَا وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا قَالَ وَلَمْ تُمَكِّنِي كَلِمَةً أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ قَالَ فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَكَيْفَ كَانَ قِتَالِكُمْ إِيَّاهُ قُلْتُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ يَنَالُ

À È Ð Æ Á
Ë Æ K Á Ð Á Á Á Æ

مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ قَالَ مَاذَا يَا مُرْكُم قُلْتُ يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتْرِكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَاةِ فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَا نَسِي يَقُولُ يَقُولُ قِيلَ قَبْلَهُ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضِعْفَاؤُهُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضِعْفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَسْتَمَّ وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُ أَحَدٌ سَخَطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بِشَاشَتِهِ الْقُلُوبَ وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَعْدِرُ وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَأَكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمِي هَاتَيْنِ وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ فَلَوْ أَيُّ أَعْلَمُ أَيُّ أَحْلَصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّسْتُ لِقَاءَهُ وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَعَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةَ إِلَى عَظِيمٍ بُصْرِي فَدَفَعَهُ إِلَى هِرْقَلٍ فَقَرَأَهُ فإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرْقَلٍ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمِ تَسْلِمَ يُؤْتِيكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلِيَّكَ إِنَّمِ الْأَرِيسِيِّينَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فُقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ الْحَدِيثُ فِيهِ

فَأَذِنَ هِرْقَلُ لِعَظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمَصَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَاهِمَا فَعُلِّقَتْ ثُمَّ أُطْلِعَ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَتَّبِعَ مُلْكُكُمْ فَتَبَايَعُوا هَذَا النَّبِيَّ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ عُلِّقَتْ فَلَمَّا رَأَى هِرْقَلُ نَفَرَتَهُمْ وَأَيْسَرَ مِنَ الْإِيمَانِ قَالَ رُدُّوهُمْ عَلَيَّ وَقَالَ إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي أَنِيفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتَ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرْقَلٍ رَوَاهُ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ وَيُونُسُ وَمَعْمَرٌ عَنِ الرَّهْرِيِّ

إخباره صلى الله عليه وسلم بكيفية ومكان وفاة بعض معاصريه

فهذا الإخبار بشارة للمؤمنين بالثبات على هذا الدين وبالشهادة لبعضهم وتهديد وإخبار بعض الكافرين بكيفية موته

ومن دلائل نبوته وأمارات رسالته صلى الله عليه وسلم ما أخبر به عن أمور تتعلق بوفاة بعض أصحابه وأهل بيته وغيرهم من أعدائه، وتبيناه لكيفية ومكان وحال مصرعهم، وهو علم لا يعرفه النبي من تلقاء نفسه.

فالموت وما يتعلق به علم اختص الجبار تبارك وتعالى نفسه بمعرفته، فهو وحده من يعرف أعمار البشر وأماكن قبض أرواحهم، فلا تعلم نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت

[لقمان: ٣٤].

وقد أعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم بزمان أو كيفية موت بعض أصحابه وأهل بيته، كذلك بعض أعدائه، فأخبر به صلى الله عليه وسلم، فكان تحققه برهاناً على نبوته وعلماً من أعلام رسالته، إذ لا يمكن لأحد معرفة ذلك ولا التنبؤ به إلا من قبل الله علام الغيوب.

ومن هذه الأنبياء الباهرة؛ إخباره صلى الله عليه وسلم عن شهادة عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، رضي الله عنهم أجمعين، وأن موتهم سيكون شهادة، وأنهم لن يموتوا على فرشهم أو سواه مما يموت به الناس.

وقد سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على حراء، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "

"(١)

فشهد صلى الله عليه وسلم لنفسه بالنبوة، ولأبي بكر بالصدقية، ولعثمان وعلي وطلحة بالشهادة.

قال النووي: " وفي هذا الحديث معجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم: منها إخباره أنّ هؤلاء شهداء، وماتوا كلّهم غير النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر شهداء؛ فإنّ عمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير رضي الله عنهم قُتلوا ظلماً شهداء؛ فقتل الثلاثة [أي عمر وعثمان وعلي] مشهور، وقُتل الزبير بوادي السّباع بقرب البصرة منصرفاً تاركاً للقتال، وكذلك طلحة، اعتزل الناس تاركاً للقتال، فأصابه سهم، فقتله، وقد ثبت أنّ من قُتل ظلماً فهو شهيد". (٢)

È Á K Á Đ Á Á Á Æ
È Đ Á Á Á Á Æ Á

وقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم عمر بالشهادة مرة أخرى حين رآه يلبس ثوباً أبيض
فقال له: " " "1(و)

وكان كما قال عليه الصلاة والسلام، فقد قتله أبو لؤلؤة المحوسي وهو قائم يصلي الصبح
إماماً بالمسلمين في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم سنة ثلاث وعشرين للهجرة النبوية،
ليكون مقتله رضي الله عنه مصداقاً لنبوءة النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة من علامات
نبوته ورسالته.

وتقبل فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم تمشي، فيقول لها أبوها: " "

" " :

(٢) "

وفي رواية أخرى أنها قالت: "

"(٣)

وفي هذا الحديث يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث غيوب:

أولها: اقترب أجله، وقد مات عليه الصلاة والسلام في تلك السنة.

وثانيها: إخباره ببقاء فاطمة بعده، وأنها أول أهل بيته وفاة. وقد توفيت بعده صلى الله عليه

وسلم بستة أشهر فقط، فكانت أول أهل بيته وفاة.

وثالثها: أنها سيده نساء أهل الجنة رضي الله عنها.

قال النووي: «هذه معجزة ظاهرة له صلى الله عليه وسلم، بل معجزتان ، فأخبر ببقائها

Á	K	Á	ÐÁ	Á	Á	Á	Á	Á	K	Á	ÐÁ	Á	Á	Á	Á	Á	Á	Á
									E	Á								Á
		Á	ÐÁ		Á	Á	Á	Á	K	Á	ÐÁ		Á	Á	Á	Á	Á	Á
																		Á
																		Á
		Á	ÐÁ		Á	Á	Á	Á	K	Á	ÐÁ		Á	Á	Á	Á	Á	Á
																		Á

بعده ، وبأتمها أول أهله لحاقاً به، ووقع كذلك ، وضحكت سروراً بسرعة لحاقها»^(١).
وأخبر صلى الله عليه وسلم بقتل المسلمين لأمية بن خلف، وتفصيل ذلك أن سعد بن معاذ كان صديقاً لأمية، وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة؛ انطلق سعد معتمراً، فنزل على أمية بمكة... فقال سعد: يا أمية، فوالله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " " .

فقال أمية: بمكة؟ قال سعد: لا أدري. ففزع لذلك أمية فرعاً شديداً.
فلما رجع أمية إلى أهله قال: يا أم صفوان، ألم تري ما قال لي سعد؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلي، فقلت له: بمكة؟ قال: لا أدري. فقال أمية: والله لا أخرج من مكة.

فلما كان يوم بدر؛ استنفر أبو جهل الناس، قال: أدركوا عيركم، فكره أمية أن يخرج، فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان، إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي؛ تخلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل، حتى قال: أما إذ غلبتني، فوالله لأشتري أجود بعير بمكة.

ثم قال أمية: يا أم صفوان، جهزني. فقالت له: يا أبا صفوان، وقد نسيت ما قال لك أخوك البشري؟! قال: لا، ما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً.
فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلاً إلا عَقَلَ بعيره، فلم يزل بذلك، حتى قتله الله عز وجل ببدر^(٢).

والعجب كل العجب من يقين أمية بتحقيق مواعده صلى الله عليه وسلم وفرقه من ذلك، لكن أنى له أن يُكذَّب الصادق الأمين الذي مازالوا منذ شبابه يشهدون له بالصدق

[الأنعام: ٣٣].

ÀÈ Á KÁ ÐÁ ÈÐ Á Æ Á
Á Á Á Æ

موضوعات الإعجاز العلمي مشوقة تجذب المستمعين والصور المشاهدة والأفلام العلمية تجعل المعجزة العلمية حقيقة مشاهدة.

إذا كان أصحاب موسى قد رأوا انشقاق البحر مرة واحدة فنحن اليوم أمة محمد نرى انشقاق البحر معنوياً كل يوم، فالعلم الذي في القرآن الكريم والذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والذي لم يركب البحر أبداً قد أخبرنا عن صفات البحر وماذا في داخله وأعماقه فنحن نرى هذه المعجزات المتجددة في كل يوم ومع كل عصر تكثر فيه الأبحاث، فالإعجاز العلمي في عصرنا هي المعجزة المتجددة ونراها في أنواع العلوم المختلفة وفي كل وقت.

وتثمر اليقين؛ لأن العلم التجريبي محل ثقة عند أهل عصرنا على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأديانهم وما جاء عن طريقه قبل لأنه يقوم على الأدلة المشاهدة.

ومعرفة حقائق الوصف القرآني لأسرار الكون استغرقت بحثاً متواصلة وجيوشاً من الباحثين وآلات بحث علمي لم يكن لها وجود زمان نزول وقت القرآن وبعده بقرون فلا يمكن الوصول إليها ومعرفتها إلا بوحى من الخالق

[الفرقان: ٦] أو عن طريق امتلاك الأجهزة العلمية بالغة الدقة والأبحاث الواسعة

والأعداد الكبيرة من الباحثين وكل هذا لم يكن له وجود زمن الرسول صلى الله عليه وسلم.

- أبحاث العلوم الكونية متواصلة والتعرف على أسرار الكون هدف من أهداف البحث العلمي التجريبي لذلك نفاجاً بالجديد في موضوعات الإعجاز على الدوام لكثرة النصوص القرآنية والنبوية ولكثرة الأبحاث في مجال تلك النصوص الأمر الذي يفضي إلى معجزة متجددة على الدوام

- وموضوعات الإعجاز العلمي مشوقة تجذب المستمعين لأن المتحدث بالإعجاز العلمي يتكلم في أنواع مختلفة من العلوم فهذا يتكلم عن الإعجاز في الإنسان وخلقته وما فيه من عجائب ومثال ذلك: أطوار الخلق - حاسة الجلد - الناصية.

وآخر يتكلم عن آفاق السماء وعجائب ما فيها من كواكب ونجوم ومجرات مستهدين بما أخبرنا الله به في ذلك وإظهار للسبق القرآني.

وآخر عن الجيولوجيا وكيفية بدأ الخلق: ﴿

[العنكبوت: ٢٠].

ويتكلم عن عجائب الحيوانات والحشرات مستهدين بالقرآن الكريم فالمتكلم بالإعجاز العلمي يتكلم في موضوعات شتى تجذب المستمعين.

ومما يساعد على إظهار الإعجاز العلمي في عصرنا الحاضر الأفلام العلمية حيث إنها تجعل المعجزة العلمية حقيقة مشاهدة ونستطيع أن نرى بواسطتها جميع الأمم نريها معجزة محمد صلى الله عليه وسلم نريهم هذه المعجزات المتجددة والتي لا تنقضي وتبقى شاهدة على عظمة هذا الدين وأنه من عند الله ومصداقا لقول الله تعالى:

[فصلت: ٥٣] والقائل سبحانه

[النمل: ٩٣].

1(: .

لفظ (العلمانية) ترجمة خاطئة لكلمة (Secularism) في الإنجليزية، أو (secularity) بالفرنسية وهي كلمة لا صلة لها بلفظ (العلم) ومشتقاته على الإطلاق. والترجمة الصحيحة للكلمة هي: (اللا دينية) أو (الدنيوية) لا بمعنى ما يقابل الأخروية فحسب، بل بمعنى أحص هو ما لا صلة له بالدين، أو ما كانت علاقته بالدين علاقة تضاد.

وتتضح الترجمة الصحيحة من التعريف الذي تورده المعاجم ودوائر المعارف الأجنبية للكلمة:

تقول دائرة المعارف البريطانية ما (secularism): (هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها). والتعبير الشائع في الكتب الإسلامية المعاصرة هو (فصل الدين عن الدولة) وهو في الحقيقة لا يعطي المدلول الكامل للعلمانية الذي ينطبق على الأفراد وعلى السلوك الذي قد لا يكون له صلة بالدولة، ولو قيل: إنها فصل الدين عن الحياة لكان أصوب، ولذلك فإن المدلول الصحيح للعلمانية إقامة الحياة على غير الدين، سواء بالنسبة للأمة أو للفرد، ثم تختلف الدول أو الأفراد في موقفها من الدين بمفهومه الضيق المحدود، فبعضها تسمح به، كالمجتمعات الديمقراطية الليبرالية، وتسمى منهجها (العلمانية المعتدلة - Non

Religious) أي: أنها مجتمعات لادينية ولكنها غير معادية للدين وذلك مقابل ما يسمى (العلمانية المتطرفة) (antireligious)، أي: المضادة للدين، ويعنون بها المجتمعات الشيوعية وما شاكلها.

وبديهي أنه بالنسبة للإسلام لا فرق بين المسميين، فكل ما ليس دينياً من المبادئ والتطبيقات فهو في حقيقته مضاد للدين، فالإسلام واللاادينية نقيضان لا يجتمعان ولا واسطة بينهما.

- 1

هذا وسنستعرض بإيجاز هذا الصراع مراعين التسلسل التاريخي:

أولاً: مطلع العصر الحديث والقرن السابع عشر:

خلاصة مظاهر الطغيان الكنسي:

ونستطيع أن نلخص مظاهر الطغيان الكنسي في هذا المجال بما يلي: -

- 1 :

يقول (ديورانت): «أصبحت الكنيسة أكبر ملاك الأراضي، وأكبر السادة الإقطاعيين في أوروبا، فقد كان دير(فلدا) مثلاً، يمتلك (١٥٠٠٠) قصر صغير، وكان دير (سانت جول) يملك ألفين من رقيق الأرض، وكان (الكوين فيتور) (أحد رجال الدين) سيداً لعشرين ألفاً من أرقاء الأرض، وكان الملك هو الذي يعين رؤساء الأساقفة والأديرة، وكانوا يقسمون يمين الولاء كغيرهم من الملاك الإقطاعيين، ويلقبون بالدوق والكونت وغيرها من الألقاب الإقطاعية... وهكذا أصبحت الكنيسة جزءاً من النظام الإقطاعي وكانت أملاكها المادية وحقوقها والتزاماتها الإقطاعية مما يجعل بالعار كل مسيحي متمسك بدينه، وسخرية تلوكها ألسنة الخارجين على الدين، ومصدراً للجدل والعنف بين الأباطرة والباباوات»^(١).

- 2 :

كانت الكنيسة تملك المساحات الشاسعة من الأراضي الزراعية باعتبارها أوقافاً للكنيسة بدعوى أنها تصرف عائداً على سكان الأديرة، وبناء الكنائس، وتجهيز الحروب الصليبية،

إلا أنها أسرفت في تملك الأوقاف، حتى وصلت نسبة أراضي الكنيسة في بعض الدول إلى درجة لا تكاد تصدق، وقد قال المصلح الكنسي (ويكلف) وهو من أوائل المصلحين: «إن الكنيسة تملك ثلث أراضي إنجلترا، وتأخذ الضرائب الباهظة من الباقي، وطالب بإلغاء هذه الأوقاف، وأتهم رجال الدين بأنهم أتباع قياصرة لا أتباع الله»^(١).

3 - :

فرضت الكنيسة على كل أتباعها ضريبة (العشور)، وبفضلها كانت الكنيسة تضمن الحصول على عشر ما تغله الأراضي الزراعية والإقطاعيات، وعشر ما يحصل عليه المهنيون وأرباب الحرف غير الفلاحين.

يقول ويلز: «كانت الكنيسة تجبي الضرائب، ولم يكن لها ممتلكات فسيحة ولا دخل عظيم من الرسوم فحسب، بل فرضت ضريبة العشور على رعاياها، وهي لم تدع إلى هذا الأمر بوصفه عملاً من أعمال الإحسان والبر، بل طالبت به كحق»^(٢).

ولم يكن في وسع أحد أن يرفض شيئاً من ذلك، فالشعب خاضع تلقائياً لسطوتها، أما الملوك فقد كانوا يخشون بأسها من جهة كما كانت بها مصالح مشتركة من جهة أخرى، إذ كانت هي أيضاً تمدهم بأسباب البقاء.

يقول تولستوي: «لقد استولى حب السلطة على قلوب رجال الكنيسة كما هو مستول على نفوس رجال الحكومات، وصار رجال الدين يسعون لتوطيد سلطة الكنائس من جهة ويساعدون الحكومات على توطيد سلطتها من جهة أخرى»^(٣).

إذن فمصلحة السلطتين تقتضي بقاء الأوضاع على صورتها الواقعة.

4 - :

لم تشبع الأوقاف والعشور نهم الكنيسة الجائع وجشعها البالغ، بل فرضت الرسوم والضرائب الأخرى، لا سيما في الحالات الاستثنائية: كالحروب الصليبية والمواسم المقدسة، وظلت ترهق بها كاهل رعاياها، فلما تولى البابا يوحنا الثاني والعشرون جاء ببدعة جديدة هي (ضريبة السنة الأولى) وهي مجموعة الدخل السنوي الأول لوظيفة من الوظائف الدينية

È È ÐÁ Á ÁÉÁ Á Á Á K
 È Á K Á ÐÁ K Á Á Á Á Á Á Á

أو الإقطاعية، تُدفع للكنيسة بصفة إجبارية، وبذلك ضمنت الكنيسة مورداً مالياً جديداً^(١).

5 - :

كانت الكنيسة تحظى بالكثير من الهبات يقدمها الأثرياء الإقطاعيون للتملق والرياء، أو يهبها البعض بدافع الإحسان والصدقة، وصحيح أن الكنيسة لم تطالبهم بذلك، لكنهم لولا معرفتهم بحرصها على الدنيا وإمكان استمالتها بطريق البذل والعطاء لما فعلوا ذلك، كما أنهم كانوا يخشون غائلة غضب الكنيسة بجرماتهم من المغفرة عند الاحتضار على الأقل، وقد قويت هذه الدوافع بعد مهزلة صكوك الغفران إذ انهالت التبرعات على الكنيسة وتضخمت ثروات رجال الدين.

هذا ولا ننسى المواسم المقدسة والمهرجانات الكنسية التي كانت تدر الأموال الطائلة على رجال الكنيسة، فمثلاً «في سنة (١٣٠٠م) عقد مهرجان لليوبيل، واجتمع له جمهور حاشد من الحجاج في روما، بلغ من إنثيال المال إلى خزائن البابوية أن ظل موظفان يجمعان بالمجاريف الهبات التي وضعت عند قبر القديس بطرس»^(٢).

٦ -) :

سبق القول بأن الكنيسة تملك الإقطاعيات برقيقتها، وأن بعض رجال الدين كان يملك الآلاف من الأرقاء، غير أن ذلك لم يقنع الكنيسة، بل أرغمت أتباعها على العمل المجاني في حقولها وفي مشروعاتها، لا سيما بناء الكنائس والأضرحة، وكان على الناس أن يرضخوا لأوامرها ويعملوا بالمجان لمصلحتها مدة محددة هي في الغالب يوم واحد في الأسبوع، ولا ينالون مقابل ذلك جزاءً ولا شكوراً.

وهكذا كانت الجماهير ترزح تحت أثقال الكنيسة وأعبائها المالية المرهقة، وكان الملوك والأباطرة ورجال الدين الصغار يحسون بذلك أيضاً، ويتحينون الفرصة لإعلان احتجاجهم. ومن الذين تضجروا من ذلك ودفعتهم جرأتهم إلى الاحتجاج العلني: الملك لويس التاسع ملك فرنسا، الذي كتب إلى البابا رسالة احتجاجية خطيرة بالنسبة لعصرها، قال فيها: «إن الذي يشند في إدرار الأضرع لا بد أن يصيب الدم من حلماتها».

È ÐÁ Á ÁÁ Á Á Á K
È ÐÁ Ð ÁÁ Á Á

أما رجال الدين فقد كان أحد الموضوعات التي نظر فيها المجلس الديني العام المنعقد في ليون سنة (١٢٤٦م) شكوى مقدمة من بعضهم يستغيثون فيها من مطالب البابا والكنيسة الأم.

ولكن هذه الاحتجاجات والاستغاثات ظلت صرخة في واد ولم تزحزح الكنيسة عن موقفها، وظلت الأمور على هذه الوتيرة حتى تضافرت عوامل أخرى سيأتي الحديث عنها فيما بعد بإذن الله.

:

-

:

الخطأ الأول: مسئول عن تسرب الخرافات الوثنية والمعلومات البشرية إلى كثير من تعاليم المسيحية، إذ جعلتها الكنيسة عقائد إلهية تدخل في صلب الدين وصميمه، وعدت الكفر بها كفراً بالوحي والدين.

الخطأ الثاني: نشأ عن ضيق صدر الكنيسة بما يخالف تعاليمها الممزوجة وإصرارها الأعمى على التشبث بها، فكان الامتداد الطبيعي للطغيان الديني طغياناً فكرياً عاماً.. وأول عمل مارسته الكنيسة في هذا المجال هو احتكارها للعلم وهيمنتها على الفكر البشري بأجمعه.

يقول برنتن: «إن أكثر أصحاب الوظائف العلمية حتى في أوج العصور الوسطى كانوا ينتمون إلى نوع من أنواع المنظمات الدينية، وكانوا جزءاً من الكنيسة، حيث أن الكنيسة بدرجة لا تكاد نفهمها تتدخل في كل لون من ألوان النشاط البشري وتوجهها وبخاصة النشاط العقلي..» وإذن فقد كان الرجال الذين يتلقون تعليمهم في الكنيسة يكادون يحتكرون الحياة العقلية، فكانت الكنيسة منصة المحاضرة، والصحافة، والنشر، والمكتبة، والمدرسة، والكلية^(١)، وكان أصحاب الميول الفلسفية في الدول الرومية، سواءً من رجال الكنيسة أو من المسيحيين العاديين، متأثرين بترائهم من الفكر الإغريقي في ميادين العلم

والفلسفة، لا سيما آراء أرسطو وبطليموس، وقد بذلوا جهودهم في التوفيق بين معتقداتهم الدينية وآرائهم الفلسفية، ونشأ عن ذلك فلسفة مركبة تسمى (الفلسفة المسيحية) وهي خليط من نظريات الإغريق وظواهر التوراة والأنجيل وأقوال القديسين القدامى، ولما كان العلم والفلسفة في ذلك العصر شيئاً واحداً، فقد أدمج الفلاسفة المسيحيون في صرح فلسفتهم كل ما وصل إليه العلم البشري في عصرهم من النظريات الكونية والجغرافية والتاريخية، ورأت الكنيسة في هذه الفلسفة التوفيقية خير معين على الدفاع عن تعاليمها ضد المارقين والناقدين،^(١) فتبنتها رسمياً وأقرتها مجامعها المقدسة، حتى أضحت جزءاً من العقيدة المسيحية ذاتها وامتدت يد التحريف فأدخلت بعض هذه المعلومات في صلب الكتب الدينية المقدسة.

ولم يبدأ عصر النهضة الأوروبية في الظهور حتى كانت آراء أرسطو في الفلسفة والطب ونظرية العناصر الأربعة ونظرية بطليموس في أن الأرض مركز الكون، وما أضاف إلى ذلك القديس أوغسطين وكليمان الإسكندري وتوما الأكويني، أصولاً من أصول الدين المسيحي وعقائد مقدسة لا يصح أن يتطرق إليها الشك».

وكانت الفلسفة المسيحية هذه تشتمل على معلومات تفصيلية عن الكون تقول: «إن الله خلق العالم ابتداءً من سنة (٤٠٠٤ ق.م) وتوج ذلك بخلق الإنسان في جنة عدن على مسيرة يومين من البصرة بالضبط، والعجيب أنها ظلت مصرّة على هذا الرأي حتى مطلع القرن التاسع عشر، فقد طبع كتاب الأسقف (آشر) الذي يحمل هذه النظرية سنة (١٧٧٩م)»^(٢).

أما تاريخ الطوفان فتختلف فيه تقاويم التوراة، لكنه على أقصى آرائها وقع بعد خلق آدم بـ(٢٢٦٢) سنة^(٣).

ومعنى ذلك أنه كان سنة (١٧٤٢ ق.م) ومن الطريف أن مجلساً كنسياً كان قد أعلن في بداية القرن العاشر للميلاد أن القرن الأخير من حياة العالم قد استهل؛ لأن الله قد جعل المدة بين إنزال ابنه ونهاية العالم ألف سنة فقط^(٤)

È Á ÁK Á K

Á

Á

Á

Á

Á

Á

Á

Á

Á

Á

Á

Á

Á

Á

Á

Á

Á

Á

Á

Á

أما معلوماتها الطبية، فقد كانت أفضل وأنجح الوسائل العلاجية في نظرها إقامة الطقوس لطرد الشياطين التي تجلب المرض، ورسم إشارة لصليب، ووضع صور العذراء والقديسين تحت رأس المريض ليشفى.

وعرفت أوروبا الطريق إلى النهضة بفضل مراكز الحضارة الإسلامية في الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا، التي كانت تشع نور العلم والمعرفة على القارة المستغرقة في دياجير الخرافة والجهل، فاستيقظ العقل الأوروبي من سباته، وأخذ يقتبس عن المسلمين طرائق البحث ومناهج التفكير التي تجعله يكاد ويعمل في مجال اختصاصه دون وصاية ضاغطة.

وثارت ثائرة رجال الكنيسة على الذين يتلقون علوم الكفار (المسلمين)، ويعرضون عن التعاليم المقدسة، فأعلنت حالة الطوارئ ضدهم، وشكلت محاكم التفتيش في كل مكان لتصيدهم وتذيقهم صنوف النكال.

وأصدرت منشورات بابوية جديدة تؤكد العقائد السابقة وتلعن وتحرم مخالفيها، وبذلك قامت المعركة على قدم وساق وأخذت تزداد سعاراً بمرور الأيام.

وكان من سوء طالع الكنيسة أن النظريات الكونية سبقت النظريات الإنسانية في الظهور، وهي نظريات أثبتت الأيام صحتها - إجمالاً - بخلاف الأخرى، وبذلك قدر للكنيسة أن تصطدم بالصحيح قبل الزائف، فلما خسرت معركتها معه سهلت هزيمتها أمام الآخر.

هذا وسنستعرض بإيجاز هذا الصراع مراعين التسلسل التاريخي:

أولاً: مطلع العصر الحديث والقرن السابع عشر:

النظرية التي هزت الكنيسة لأول مرة هي نظرية كوبرنيك (١٥٤٣) الفلكية، فقبل هذه النظرية كانت الكنيسة المصدر الوحيد للمعرفة، وكانت فلسفتها تعتنق نظرية بطليموس التي تجعل الأرض مركز الكون وتقول: إن الأجرام السماوية كافة تدور حولها^(١).

فلما ظهر كوبرنيك بنظريته القائلة بعكس ذلك كان جديراً بأن يقع في قبضة محكمة التفتيش، ولم ينج من ذلك لأنه كان قسيساً؛ بل لأن المنية أدركته بعد طبع كتابه بقليل؟.

نباتات وأشجار تنمو ضاربة إلى أسفل، وقالت: إنه لو صح هذا الزعم لوجب أن يمضي المسيح إلى سكان الوجه الآخر من الأرض ويموت مصلوباً هناك من أجل خلاصهم»^(١). ومع ذلك، فلم يكد القرن السابع عشر يستهل حتى كان لنظرية كوبرنيك وما أضاف إليها برونو وجاليلو آثار واسعة، ظلت راسخة في الفلسفة الأوروبية عامة، فقد أفقدت الكثيرين ثقتهم في الكنيسة، وأدت إلى التشكيك في سلامة معلوماتها، وهو أثر له أهميته القصوى، كما أنها أعطت الأولوية للتجربة والبحث العقلي في الوصول إلى الحقائق، وإضافة إلى ذلك قدمت إحياءات فلسفية جديدة، فقد هزت فكرة الثبات المطلق التي كانت مسيطرة على العقلية الأوروبية وحطت كذلك من قيمة الإنسان ومكانته في الوجود أو هكذا تخيل الناس آنذاك.

وفي القرن السابع عشر تبلور النزاع واتخذ شكلاً جديداً؛ فقد أصبح النزاع بين مرقد جاليلو وحجج الكنيسة الواهية، نزاعاً بين النص الذي تعتمد عليه أدلتها وبين العقل والنظر الذي استند إليه أصحاب النظريات الجديدة.

وثار العلماء ودعاة التجديد مطالبين بتقديس العقل واستقلاله بالمعرفة بعيداً عن الوحي، ولم يجرؤ دعاة المذهب العقلي أول الأمر على إنكار الوحي بالكلية، بل جعلوا لكل من الطرفين دائرة خاصة يعمل فيها مستقلاً عن الآخر.

وكان مذهب (ديكارت) أبرز المذاهب الفلسفية في هذا العصر، وقد دعا إلى تطبيق المنهج العقلي في الفكر والحياة واستثنى من ذلك - لسبب ما - الدين والعقائد الكنسية والنصوص المقدسة، وكان يرى «أن ميدان العلم الطبيعة، وموضوعه استغلال القوى الطبيعية، وأدواته الرياضة والتجربة، ويختص الدين بمصائر النفس في العالم الآخر، ويعتمد على الاعتقاد والتسليم، فلا مضايقة بين العلم والدين ولا سلطان لأحدهما على الآخر»^(٢).

وهذه الازدواجية الديكارتية وجدت لها نظيراً في منهج بيكون التجريبي، الذي قال عنه أندرسن: «إن أعظم مآثر بيكون الفصل بين العلم البشري والوحي الإلهي»، فعند بيكون

يمكن أن تكون أي قضية خاطئة تماماً في نظر العقل، ولكنها صحيحة تماماً لأنها نظر الدين^(١).

والواقع أن المذهب الازدواجي ليس إلا مرحلة طبيعية في سلم التدرج من الإيمان المطلق بالوحي إلى الإنكار المطلق له.

ومع ذلك فقد وجد فلاسفة آخرون معاصرون لهؤلاء لم ترق لهم هذه الفلسفة، بل أغرتهم تفاهة آراء الكنيسة وحقدهم عليها أن يهاجموا التعاليم الدينية هجوماً مباشراً.

وكان (سبينوزا) -بحكم يهوديته- أعنف هؤلاء، فقد طبق المنهج العقلي على الكتاب المقدس نفسه، ووضع الأسس التي قامت عليها (مدرسة النقد التاريخي) التي ترى أنه يجب أن تدرس الكتب الدينية على النمط نفسه الذي تدرس به الأسانيد التاريخية، أي: على أساس أنها تراث بشري وليست وحيماً إلهياً- وبالفعل حقق (سبينوزا) نتائج:

فمثلاً: استنتج أن أسفار التوراة لم يكتبها موسى، مستدلاً بما جاء في سفر التثنية من ذكر موت موسى وراثه، وقول كاتب السفر: «لم يأت نبي مثله من بعده»، وأيضاً استطاع أن يثبت أن التوراة قد عينت أماكن بأسماء لم توضع لها إلا بعد موسى بقرون عديدة^(٢) كما استطاع (باسكال) أن يوجه نقده إلى عقيدة الخطيئة قائلاً: «لا شيء يزحم العقل الإنساني بالألم كعقيدة الخطيئة الأصلية، وإنه ل يبدو أبعد ما يكون عن العقل أن يعاقب إنسان من أجل خطيئة اقترفها أحد أسلافه منذ أربعة آلاف سنة»^(٣).

« :

4(»

كما دعا إلى تطبيق مبدأ جديد على الحياة الأوروبية آنذاك، وهو مبدأ التسامح الديني، وإعطاء الحق لكل إنسان في أن يعتقد ما يشاء ويكفر بما يشاء من الأديان والمذاهب.

É	Á	Á K	Á	É K Á	Á	Á	Á	Á	Á	Á	Á	Á
				Á	Á	Á	Á	Á	Á	Á	Á	Á
					É	Á K	Á	Á	Á	Á	Á	Á
					É	Đ Ā	Á	Á	Á	Á	Á	Á

على أن نقد هؤلاء الرواد لم يصل إلى إنكار الوحي والرسالات السماوية بصراحة، كما أنه ظل خافتاً أمام بطش محاكم التفتيش أو على الأقل أمام ضغط المجتمع الذي كان يدين بالمسيحية ويراها جزءاً من كيانه وتراثاً عزيزاً عليه.

وقد تعرضت كتب ديكارت وسبينوزا ولوك وأضرابها للحرق والمصادرة، كما تعرضوا شخصياً للإيذاء والمضايقة من قبل الكنيسة، إلا أن تفجر البركان العلمي في كل مكان والخلافات الداخلية بين الطوائف المسيحية شغلتهما عن إعطائهم ما يستحقون من الاهتمام.

كما أن النظريات الجديدة عن الكون في هذا القرن قد غمرت الأفكار الفلسفية، واستأثرت بالاهتمام البالغ من قبل الأوساط الدينية والعلمية على السواء، وأعظم هذه النظريات (نظرية الجاذبية) لإسحاق نيوتن.

ولد إسحاق نيوتن في السنة التي توفي فيها جاليليو (١٦٤٢ ق.م) ويعد عمله تكميلاً لما بدأه جاليليو، فقد مهد اكتشاف جاليليو لقانون البندول سنة (١٦٠٤م) الطريق أمام النظرية القائلة «إنه من الممكن تفسير ظواهر الطبيعة بربط بعضها ببعض دون حاجة إلى تدخل قوى خارجية عنها»^(١)، وبذلك كان هذا الاكتشاف الضئيل بمثابة النواة للمذهب (الطبيعي) والنظرية الميكانيكية اللذين كان لهما صدى واسع فيما بعد.

وقد حاربت الكنيسة هذه النظرية وشنعت على معتنقيها قائلة: إن الأشياء لا تعمل بذاتها ولكن عناية الله هي التي تسيرها، ولم تكن الكنيسة من سعة الأفق على جانب يسمح لها بتفهم عدم المنافاة بين نسبة الأفعال إلى الله تعالى باعتباره الفاعل الحقيقي، وبين نسبتها إلى الأسباب باعتبارها وسائط مباشرة، بل كان حنقها على كل جديد صارفاً لها عن ذلك، كما أن أصحاب النظرية اندفعوا وراء رد الفعل الأهوج، فأنكروا عمل العناية الإلهية وربط الأسباب بالمسببات، معتقدين أن كل ما عرفت علته مباشرة فلا داعي لافتراض تدخل الله فيه حسب تعبيرهم.

فلما جاء نيوتن بنظرية الجاذبية مؤيدة بقانون رياضي مطرد انبهرت عقول الفئات المثقفة واتخذها أعداء الدين سلاحاً قوياً حتى لقد سميت (الثورة النيوتونية) وأحس هؤلاء بنشوة انتصار عظيمة، فقد أمكن تفسير الكون كله بهذا القانون الخارق، كما تأكدت صحة نظريات كوبرنيك وبرونو وجاليليو، وفي الوقت نفسه اهتز موقف الكنيسة وتداعت حججها

الواهية أكثر من ذي قبل، ولجأت إلى التعسف والعنف، وهاجم رجالها نيوتن الذي كان مؤمناً بوجود الله، بحجة أنها تفضي إلى إنكار وجود الله، بنفي العناية الإلهية من الكون، وقد ثبت أنهم كانوا على حق في توقعهم هذا، لكنهم كانوا مخطئين في موقفهم من النظرية، فقد ساعد هذا الموقف الخاطئ على الوصول إلى تلك النتيجة الباطلة.

ولا شك أن نظرية نيوتن من أعظم النظريات العلمية أثراً في الحياة الأوروبية، فهي التي وضعت الفكر المادي الغربي، وإليها يعزى الفضل الأكبر في نجاح كل من المذهب العقلي والمذهب الطبيعي.

أما في القرن السابع عشر فإن النتائج التي أمكن للعلماء أن يُكوّنوا منها النظرية العلمية المعادية لتعاليم الكنيسة، والتي اشتقت من نظريتي كوبرنيك ونيوتن - هي كما لخصها (برتراندرسل) ثلاث نتائج:

١- أن تقرير الحقائق يجب أن يبنى على الملاحظة لا على الرواية غير المؤيدة (أي: النص.....وص).

٢- أن العالم غير الحيواني نظام متفاعل في نفسه مستبق لنفسه، وتنطبق كل التغيرات فيه مع قوانين الطبيعة.

٣- أن الأرض ليست مركز الكون وأن الإنسان ربما لا يكون الهدف من وجودها، إذا كان لوجودها أي هدف، وفوق ذلك أن فكرة الهدف فكرة لا فائدة منها من الناحية العلمية^(١).

وإذا كان القرن السابع عشر هو قرن الانتفاضة العارمة على الكنيسة ومبادئها، فإنه كذلك القرن الذهبي لمحاكم التفتيش، فقد قاسى العلماء أنواع الاضطهاد، واستخدمت ضدهم أساليب القمع الوحشية وظهرت الفهارس أو (القوائم البابوية) التي تحتوي على أسماء الكتب المحرمة، وكان وجود شيء من هذه الكتب في حوزة إنسان ذريعة لسوقه إلى محكمة التفتيش وتعريضه لأليم عقابها.

وقاومت الكنيسة كل محاولة للتجديد، وإن كانت نافعة خيرة، فقد كفرت رئيس بلدية في ألمانيا، لأنه اخترع غاز الاستصباح بحجة أن الله خلق الليل ليلاً والنهار نهاراً، وهو بمخترعه يريد تغيير مشيئة الخالق فيجعل الليل نهاراً^(١).

ونستطيع أن نقول: إن ما قام به علماء وفلاسفة القرن السابع عشر من هجوم على الدين، ليس في حقيقته سوى اندفاع أعمى، ورد فعل غير موجه هدفه الانفكاك من قبضة الكنيسة والتحرر من عبوديتها، فلم يكن همهم إلى أين نتجه؟ بقدر ما كان كيف نهرب؟. ولكن التأثيرات والايحاءات الفلسفية لنظرية نيوتن أسهمت في إيجاد فكر لا ديني منظم ينتهج طرائق محددة، وإن كان قد ظل مشوباً بالتعصب والسلبية، مندفعاً في مهاجمة الكنيسة ومعتقداتها.

ولعل من الصواب أن نقول: إن نظرية نيوتن لم تمهد فكراً للثورة الفرنسية فحسب، بل إنها قطعت نصف الطريق إلى داروين أيضاً.

والكلام عن آثار النيوتونية ينقلنا إلى القرن الثامن عشر الذي كان دخوله إيذاناً بأفول نجم الكنيسة وولادة آلهة جديدة لا كنائس لها.

: :

يتميز القرن الثامن عشر بظهور روح الشك العام في كل شيء تقريباً، ومع ذلك فقد ظهرت فلسفات متنوعة يدور محورها حول كلمتين، هما في الواقع صنمان استحدثتهما الهاربون من نيران الكنيسة، ليحلا محل إلهها المخيف، وهما: (العقل والطبيعة).

أما العقل فلم يعد مقيداً بأغلال الثنائية الديكارتية، بل بدأ يبحث عن ذاته ويسلك طريقه لكي يتصرف كما لو كان (إلهاً) بالفعل، وتعالى أصوات الباحثين والفلاسفة، منادية بأن العقل هو الحكم الوحيد والعقل هو كل شيء، وما عداه فوهم وخرافة، الوحي يخالف العقل فهو أسطورة كاذبة، والمعجزات لا تتفق ومألوف العقل فهي خرافات بالية، والفداء والصلب والرهبانية... إلخ، كلها أباطيل مضللة وعقائد مردولة لأنها لا تتسق مع العقل، والصنم الثاني كان (الطبيعة).

يقول (سول): «صار لزاماً على الذين نبدوا الإيمان بالله كلية أن يبحثوا عن بديل لذلك ووجدوه في الطبيعة»^(١).

وكتب الفكر الغربي تسمي ذلك العصر عصر (تأليه الطبيعة) أو عبادة الطبيعة، وليست هذه العبارات مجازاً، بل هي مستعملة على الحقيقة تماماً، فكل صفات الله التي عرفها الناس عن المسيحية نقلها فلاسفة الطبيعة إلى إلههم الجديد، مع فارق كبير بين الإلهين في نظرهم. فإله الكنيسة بطّاش حقود يعذب السلالة البشرية ويقتل ابنه لأن الإنسان الأول أكل فاكهة من حديقته.

وهو إله متعنت يضع القيود الاعتبارية على حرية الإنسان ويقيده بالالتزامات، ويفرض عليه الرهبانية والخضوع المذل لممثليه على الأرض.

أما الطبيعة فإلهها جذاب رحب الصدر ليس له كنيس ولا التزامات، ولا يستدعي طقوساً ولا صلوات، وكل ما يطالب به الإنسان أن يكون إنساناً طبيعياً يلبي مطالبه الطبيعية في وضوح وصراحة.

والإله الجديد ليس له رجال دين يستعبدون الناس لأنفسهم، ولا كتاب مقدس متناقض ولا أسرار عليا مقدسة، بل له دعاة من أمثال (روسو، وفولتير، وديدرو) وله كتب علمية هي (دائرة المعارف) أو (العقد الاجتماعي) أو (روح القوانين).

والقانون الطبيعي (الجاذبية) يجعل الكون مترابطاً متناسقاً لا اضطراب فيه ولا خلل، وبالمقابل جعلت الطبيعة للإنسان قانوناً طبيعياً يكفل له السعادة التامة، ولكن النظم الإنسانية والأديان طمست هذا القانون فشقي الإنسان وتعذب.

تلك هي المبادئ الأولى للمذهب الطبيعي الذي تبلور ليصبح ديناً إنسانياً عند (كومت) في القرن التاسع عشر، وعنه انبثقت الماديات المتعددة التي تفسر الكون تفسيراً آلياً حسب القوانين التي سميت (قوانين الطبيعة).

أما هنا في القرن الثامن عشر فإن عبادة العقل والطبيعة هي ميزة العصر الذي يسمى (عصر التنوير).

ويصف (برنتن) شيئاً من مظاهر الصراع بين الدين والعلم في هذا العصر بقوله:

«كان العقل للرجل العادي في عصر التنوير هو كلمة السر الكبرى لعالمه الجديد، العقل هو الذي يسوق الناس إلى فهم الطبيعة وهذه هي كلمة السر الثانية الكبرى وبفهمه للطبيعة يصوغ سلوكه طبقاً لها، وبذلك يتجنب المحاولات العابثة التي قام بها في ظل أفكار المسيحية التقليدية الخاطئة، وما يخالفها في الأخلاق والسياسة مما يناقض الطبيعة»^(١).

«والعقل يبين أن الرهبانية تعني إسرافاً عظيماً في قدرة الإنسان الإنتاجية، وأوضح من ذلك أن العقل يبين أنه من غير الطبيعي للكائنات البشرية صحيحة البدن أن تمتنع بتاتاً عن الاتصال الجنسي، وأن التبرير الديني لمثل هذا السلوك غير الطبيعي كان هراء كُهرَاء فكرة الشياطين التي تستولي على المجنون».

«إن المسيحية التقليدية لم تعد قادرة على أن تمد المستنيرين بنظرية كونية، فقد بدأ الناس يعرفون ما يكفي من الجيولوجيا لكي يبين أن تاريخ الخليقة الذي حدده الأسقف (آشر) بعام (٤٠٠٤ ق.م)، وتاريخ قصة الطوفان بعيدا الاحتمال، ولكن لم تكن هناك حاجة إلى أن ينتظر الناس نمو المعرفة الجيولوجية، خذ مبدأ التثليث في المسيحية مثلاً: إن الرياضة كانت ضد هذا المبدأ فإن أي نظام رياضي محترم لا يسمح بأن يكون الثلاثة ثلاثة وواحداً في آن واحد، أما عن المعجزات فلماذا توقفت؟ إذا أمكن إحياء الميت في القرن الأول فلماذا لا يحيى في القرن الثامن عشر؟^(٢)

تلك هي الخطوط العامة في القرن الثامن عشر للصراع بين الكنيسة والدين، على أنه ينبغي أن ننبه إلى أن هذا الصراع كان مقتصرأ على الفلاسفة والطبقات المثقفة، ولم يتجاوز ذلك إلى القاعدة الشعبية ويصبح قضية جماهيرية، إلا بعد الثورة الفرنسية التي قامت في أواخر هذا القرن سنة (١٧٨٩م) وبقيامها رُسم معلم واضح من معالم التاريخ الأوروبي، وافتتح عصر جديد من الصراع بين الدين واللادين يستحق أن يفرد له فصل مستقل.

:

النظام الاجتماعي الذي هيمن على الحياة الأوروبية طيلة القرون الوسطى هو نظام (الإقطاع)، وربما كان أشنع وأظلم النظم الاجتماعية في التاريخ. ولا شك أن الظلم دائماً سمة من سمات الحكم الجاهلي لأي مجتمع في كل زمان ومكان، ولكن صورته في المجتمع الأوروبي الإقطاعي كانت أتم وأظهر^(١)، ففي الفترة التي كان فيها الشرق المسلم ينعم بالحياة في ظله أفضل وأعدل مجتمع عرفه التاريخ، كان الغرب المسيحي يزرع تحت نير هذا النظام البغيض. والفطرة البشرية - كما خلقها الله - تأبى الظلم وتنفر منه، مهما طال خضوعها له، ولذلك فإنها تنتهز أدنى فرصة سانحة للثورة عليه وتقويض دعائمه.

وليس غريباً أن يكون أرقاء فرنسا هم رواد الثورة على الإقطاعيين؛ فإن موقعها الجغرافي المحاذي للجزء المسلم من أوروبا الأندلس، ثم حملاتها الصليبية الكثيفة مضافاً إليهما بعدها النسبي عن مركز البابوية في روما، كل هذه جعلتها أقرب إلى روح التحرر والانطلاق. وهكذا قامت في فرنسا أول ثورة فلاحية في القرن الرابع عشر للميلاد، وهي وإن أخفقت، كالشأن في المحاولات الأولى، فقد هيأت الأذهان لإمكان القيام بعمل ناجح مستقبلاً، وأثرت في ظهور انتفاضات مماثلة في أنحاء القارة. وكان من العوائق الكبرى التي خيبت جهود الثائرين أن الكنيسة (أكبر الملاك الإقطاعيين) وقفت ضدهم وأجهضت محاولاتهم.

فالكنيسة لم تكتف بصد الناس عن نور الإسلام، بل ناقضت تعاليم الإنجيل الداعية إلى المحبة والتسامح، ونافست الأمراء الإقطاعيين في إذلال الشعوب وقهرها. ويأتي التبرير المسيحي لنظام الاسترقاق الإقطاعي على يد القديس (توما الأكويني)، الذي فسره بأنه «نتيجة لخطيئة آدم»^(٢) وكان رجال الكنيسة والبارونات ليسوا من بني آدم،

وهناك حقيقة ينبغي ألا تغيب عن أذهاننا فيما يتعلق بالثورات الفلاحية، وهي أن هذه الثورات لم تكن تمرداً على الكنيسة لأنها كنيسة بل لأنها مالك إقطاعي فالملوك المركزيون استطاعوا أن يذوبوا البارونات في رعاياهم ويدمجوا إقطاعياتهم في الدولة، وإن كان قد بقي لهم امتيازات ومخصصات كثيرة، وتمت هذه العملية بفضل حصول الحكومات على البارود عن طريق الشرق، وهو سلاح لم تصمد له قلاع البارونات طويلاً. وأدى هذا إلى مزيد من الاستغلال للأرقاء من قبل أسيادهم، كي يعوض الأسياد عن الضرائب التي فرضتها الحكومة المركزية على إقطاعياتهم، ولم يَدُر ببال الملوك أن يفكروا في شأن الأرقاء، بل كان كل همهم أن تأتي الضريبة كاملة من أي طريق. والتحول الآخر يتمثل في ظهور الحركات التي تزعمها (لوثر، كالفن، هس) وأمثالهم، فقد حطمت هذه الحركات الوحدة الشكلية للعالم الغربي المسيحي، وأضعفت السلطة الكنسية المركزية بكثرة ما أحدثته من مذاهب وفرق لا حصر لها. وهذا التحول -بالإضافة إلى سابقه- أدى إلى تخلخل المجتمع الأوروبي وتغيير بعض ملامحه الثابتة، فابتدأت المدن الأوروبية في النمو، وظهرت الطبقة الوسطى (البورجوازية) فظهر منافس قوي للإقطاعيين يتمثل في طبقة تجار المدن البورجوازيين، الذين كانوا بمثابة الطلائع للرأسماليين الكبار^(١). وإلى جانب ذلك كانت اليقظة التي عرضناها في الفصل السابق، وكان ظهور الورق والمطابع العامل الفعال في نشرها وتوسيع ميدانها. كل هذه التحولات أنذرت بافتتاح عصر جديد مغاير للماضي في قيمه وتصوراته وأوضاعه، وكانت أحوال فرنسا الثقافية والاجتماعية تؤهلها لافتتاح ذلك العصر. في السنوات السابقة للثورة بلغ الفساد السياسي والتدهور الاقتصادي في فرنسا غايته، حتى إن (كالون) وزير الخزانة الملكية اعترف بذلك سنة (١٧٨٧م) وأرادت الحكومة سد عجز الميزانية بإرهاق الشعب بضرائب جديدة فادحة، فازدادت أحوال الطبقات المسحوقة سوءاً، وعصفت بالبلاد موجة من الجوع ونقص المؤن.

وفي الوقت الذي عيل فيه صبر الشعب وأنهكته المجاعة والبؤس، كان هناك طبقتان تترنحان في أعطاف النعيم وتنغمسان في مختلف الملاذ هما: طبقة رجال الدين، وطبقة الأشراف، بالإضافة إلى الأسرة المالكة التي كانت عبئاً ثقيلاً على الجميع. وكان إنقاذ الشعب يتطلب منه أن يقوم بعمل يودي بالظلم ويزيح كابوسه عن المهضومين، ووقف الشعب بكل فئاته الفلاحين، المهنيين، القساوسة الصغار جبهة واحدة، وكانت الجبهة الأخرى ائتلافاً بين الطبقتين المحترمتين رجال الدين والأشراف. وقضت سنة الله أن ينتصر الشعب على جلاديه، وأن تحصد المقصلة معظم الرءوس المترفة الطاغية.

وتمحضت الثورة عن نتائج بالغة الأهمية، فقد ولدت لأول مرة في تاريخ أوروبا المسيحية دولة جمهورية لا دينية، تقوم فلسفتها على الحكم باسم الشعب وليس باسم الله، وعلى حرية التدين بدلاً من الكتلكة، وعلى الحرية الشخصية بدلاً من التقييد بالأخلاق الدينية، وعلى دستور وضعي بدلاً من قرارات الكنيسة.

وقامت الثورة بأعمال غريبة على عصرها، فقد حلت الجمعيات الدينية، وسرحت الرهبان والراهبات وصادرت أموال الكنيسة، وألغت كل امتيازاتها، وحوربت العقائد الدينية هذه المرة علناً وبشدة، وأصبح رجل الدين موظفاً مدنياً لدى الحكومة^(١) هذه النتائج والتطورات تستحق أن يقف عندها الإنسان باحثاً عن أسبابها ودوافعها، وبالنظر الفاحصة نجد أن عوامل متعددة قد تضافرت على تحقيقها، وأهمها ثلاثة:

:

- كما يسمى - بطابعه الخاص، والذي كانت مدارسه رغم تباينها تسعى إلى غاية واحدة، هي تقويض الدين واجتثاث مبادئه من النفوس .

:

كان من الممكن ألا تعتنق الجماهير المسيحية أفكار الكتاب العلمانيين هؤلاء وتتخلى عن عقيدتها الراسخة، لولا الموقف الشائن الذي وقفته الكنيسة من مطالبهم المشروعة.

إن ذهن الفلاح الساذج قد لا يستطيع أن يستوعب شيئاً من أفكار روسو وانتقادات فولتير، لكنه يستطيع بسهولة أن يرى مخازي الملوك والقساوسة وفضائحهم وثرأهم الباذخ، لقد رأى بأم عينيه ما عبر عنه توماس جفرسن بقوله:

إن القسيس في كل بلد وفي كل عصر من أعداء الحرية، وهو دائماً حليف الحاكم المستبد يعينه على سيئاته في نظير حمايته لسيئاته هو الآخر⁽¹⁾ وكان ذلك مدعاة لأن تصب الجماهير جام غضبها على الكنيسة، وتصرخ خلف (ميرابو): (اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس).

(2)

كان من الممكن - كذلك - أن تتأثر الجماهير من الكنيسة فتصادر أملاكها وتقضي على نفوذها، وتظل مع ذلك مؤمنة بدينها وفيه لتاريخها متمسكة بتقاليد العريقة، لولا أنه وجد عامل آخر

حيث استطاع اليهود أن يتغلغلوا في منظمات الثورة المختلفة، كالجمعية التأسيسية، ونادي العاقبة وبلدية باريس، وأن ينفثوا تلك الشعارات التي رددتها الجماهير ببلاهة - لا سيما - شعار الثورة البارز الحرية والإخاء والمساواة هذا الشعار الذي قامت عليه الثورة وحققتة، كان له عند اليهود تفسير آخر:

فهم يقصدون بالحرية تحطيم القيود الأخلاقية والتقاليد الموروثة، التي تحول بينهم وبين إفساد الأمم وتدميرها، ويقصدون بالإخاء والمساواة كسر الحواجز النفسية والاجتماعية التي تحول بينهم وبين الانسلاخ إلى أجهزة الدولة وتنظيماتها، وإذابة الفوارق الدينية بينهم وبين غيرهم كي تزول عنهم وصمة الاحتقار والمهانة.

وهكذا نجحوا في تحويل الثورة من ثورة على مظالم رجال الدين إلى ثورة على الدين نفسه، وجعلوا لفظة الدين عند الشعوب الأوروبية مرادفة للظلم والرجعية والتخلف والاستبداد.

كانت فاتحة عصر جديد في التاريخ الأوروبي، إذ توالى الثورات كالبراكين في أنحاء القارة وعرفت أوروبا - ربما لأول مرة - شيئاً اسمه حقوق الإنسان، ولا تزال تنسب له هذه الثورة إلى

É Á K Á È Á Á Æ Á Á K

اليوم، وكان نجاح أي ثورة يعني انهيار النظام الإقطاعي وانهيار نفوذ الكنيسة، ولذا فإن من الطبيعي لتغير عميق كهذا أن يصحبه فراغ هائل في المعتقدات والقيم، فإذا علمنا أن هناك من يستغل هذا الفراغ لتحطيم إنسانية الإنسان وتدمير قيمه، أدركنا المغزى الحقيقي للحرية التي نادى بها تلك الثورات.

إن كل الشعارات البراقة التي رفعت لتحل محل الإيمان الديني لم تفِ بهذا الغرض، كما فشلت جميع الدساتير والنظم في جلب الاستقرار للقارة، ولذلك شهدت أوروبا في الفترات التالية ما لا يحصى من الاتجاهات الفكرية والاجتماعية الحائرة، كما شهدت حروباً طاحنة مدمرة جعلت خريطة أوروبا عرضة للتغير المستمر، وحلت الفاجعة الكبرى بالدين والأخلاق والتقاليد التي أصبحت ينظر إليها وكأنها قطعة متحجرة من الماضي البغيض.

- :

قبل أن تبصر نظرية (داروين) النور كان الإيمان المسيحي والأخلاق المسيحية قد تعرضتا لضربات قاسية وهزات عنيفة: من قبل أصحاب العلوم التجريبية ومهدت لظهور نظريات جديدة

في سنة (١٨٥٩م) نشر الباحث الإنجليزي (تشارلز داروين) كتابه (أصل الأنواع^(١)) فأحدث ضجة لم يحدثها أي مؤلف آخر في التاريخ الأوروبي قاطبة، وكان له من الآثار في المجالات الفكرية والعملية ما لم يكن في الحسبان.

والغرض الذي يدور حوله الكتاب هو افتراض تطور الحياة في الكائنات العضوية من السهولة وعدم التعقيد، إلى الدقة والتعقيد وتدرجها من الأخط إلى الأرقى، وأن الفروق الخلقية داخل النوع الواحد تنتج أنواعاً جديدة مع مرور الأحقاب الطويلة، ولذلك يفترض داروين أن أصل الكائنات العضوية ذات الملايين من الخلايا كائن حقير ذو خلية واحدة. وحسب قانون (الانتقاء الطبيعي وبقاء الأنسب) نمت الأنواع التي استطاعت التكيف مع البيئة الطبيعية ومصارعة الكوارث المفاجئة، وتدرجت في سلم الرقي في حين هلك الأنواع التي لم يحالفها الحظ في ذلك.

وعلة ذلك أن الطبيعة - حسب تعبير داروين - وهبت بعض الكائنات عوامل البقاء ومؤهلات حفظ النوع بإضافة أعضاء أو صفات جديدة تستطيع بواسطتها أن تتواءم مع الظروف الطارئة، وقد أدّى ذلك إلى تحسن نوعي مستمر نتج عنه أنواع جديدة راقية كالقردة ونوع أرقى وهو الإنسان، أما البعض الآخر؛ فقد حرّمته الطبيعة من ذلك فتعثر وسقط، والطبيعة إذ تهب هذا وتحرم ذاك لا تنتهج خطة مرسومة، بل تحبّط خبط عشواء - على حد قوله - كما أن خط التطور ذاته متعرج ومضطرب، لا يسير على قاعدة منطقية مطردة.

ذلك بايجاز شديد هو لب النظرية التي طلع بها داروين في ذلك الكتاب، وهي في جوهرها فرضية بيولوجية أبعد شيء عن أن تكون نظرية فلسفية عامة، كما أنها بعيدة عن أن تكون حقيقة علمية ثابتة.

وكان العلم النيوتوني قد ألقى في روع أعداء الكنيسة إمكان تفسير الظواهر الطبيعية (ميكانيكياً) أي دون الحاجة إلى مدبر، ولذلك فلم تكن ظروف الصراع تستدعي إلا إيجاد فكرة عن الحياة، تقوم على قانون ميكانيكي كقانون نيوتن في الفلك.

السبب في قبول وشيوع هذه النظرية

يقول أحد معتنقي هذه النظرية: (إن نظرية النشوء ما زالت حتى الآن بدون براهين - وستظل كذلك - والسبب الوحيد في أننا نؤمن بها، هو أن البديل الوحيد الممكن لها هو الإيمان بالخلق المباشر وهذا غير وارد على الإطلاق)^(١).

:

:

:

وجد الإلحاد في العالم الغربي المسيحي قبل داروين، فقد أبحاث الثورة الفرنسية حرية الإلحاد تحت شعار (حرية الاعتقاد) وقدمت الميكانيكية النيوتونية للملاحظة خدمة كبيرة، لكن الإلحاد ظل حتى سنة (١٨٥٩م) قضية فلسفية محدودة النطاق، وظلت العقيدة المسيحية محتفظة بمركز قوي ليس في الطبقات الدنيا من الشعب فحسب، بل حتى في الجامعات الأكاديمية العلمية التي كانت في الغالب هيئات دينية أو خاضعة لنفوذ رجال الكنيسة.

وبعد سنة ١٨٥٩ أصيب العالم بنقص حقيقي في الإيمان -على حد تعبير ويلز- بسبب ما أشاعه أعداء الدين من تفسيرات باطلة لنظرية التطور، والاستغلال البشع الذي قام به المغرضون، والحماس المنقطع النظر الذي استقبلت به النظرية، أما موقف الكنيسة فقد كان مهزوزاً منذ البداية -لا سيما- وأن الزمن قد أثبت خطأ المواقف التي اتخذتها من النظريات الكونية السابقة، ولذلك خشي الكثير من المتعاطفين معها أن يقعوا في الخطأ نفسه، ناهيك عن الأعداء الذين شهروا بالدين ورجاله أشنع تشهير.

ونشبت معركة من أعظم المعارك الفكرية في التاريخ، واشتط أصحاب النظرية في موقفهم، وتطرفوا إلى حد إنكار التصور الديني جملة وإعلان إلحادهم الصريح، كما تطرفت الكنيسة وأشياها فأعلنت كفر وهرطقة كل من لم يكن في جانبها.

وانتهت المعركة إلى نتيجة مفرعة، فقد تزلزلت العقائد الدينية جملة، وانتشر الإلحاد وشاع بطريقة غريبة شاذة.

:

1 - :

فقد ولدت النظرية في عصر كان فيه الصراع بين العلم والدين على أشده، وكانت الثورة الصناعية قد أخذت تطمس ملامح المجتمع الأوروبي، وتصبغه بصبغة جديدة متحللة من الدين والأخلاق، وكان الإنسان الأوروبي في كل مكان يتحفز للأخذ بثأره من رجال الكنيسة الذين أذاقوه ألوان الذل والاستعباد، فكان ظهور النظرية فتحاً جديداً بالنسبة له^(١).

بالإضافة إلى طبيعة الإيمان المسيحي ذاته، فهو إيمان عاطفي لا يقوم على الاقتناع العقلي بل على العكس تماماً، فسواء لدى من أوتي حظاً من الثقافة والمعرفة أن إله الكنيسة قد قتل ابنه ليخلصه من الخطيئة أم لم يفعل ذلك، فهو أصلاً غير مقتنع بأنه ولد مخطئاً وأن للرب ابناً، كما أن عقيدة التثليث والأساطير المسيحية الأخرى تسبب لعقله إزعاجاً

مستمراً، لذلك فلا غضاضة في أن يضحى بهذه العقيدة الهشة في سبيل نجاته من قبضة الكنيسة الجائرة.

- 2

غني عن البيان أن نقول: إن اليهود يخططون للقضاء على البشرية من طريق القضاء على دينها وأخلاقها وتقاليدها، فهي حقيقة آمن بها كثير من العقلاء في الغرب، وإن الزمن ليكشف تدريجياً خيوط المؤامرة الشيطانية التي يدبرونها ضد الجنس البشرى بجملته، وما من شك في أن نظرية داروين سلاح فتاك لم يكن هؤلاء ليحلموا به.

وكانت النتيجة المنطقية لانتصار الداروينية على المسيحية وهو الانتصار الذي سببه العاملان السابقان - أن عمت موجة الإلحاد المجتمعات الغربية، وانتقلت منها إلى بقاع العالم الأخرى، وسيطرت الأفكار المادية على عقول الطبقة المثقفة، وتخلت جموع غفيرة من الناس عن إيمانها بالله تخلياً كاملاً أو شبه كامل، وطغت على الحياة الأوروبية فوضى عقائدية غريبة.

صحيح أن الطبيعة عبت قبل داروين، ولكن داروين كان نبياً جديداً لها، - إن صح التعبير - وعبدته مرة عن طريق عبادة الإنسان، وهي الفكرة التي دعا إليها الفيلسوف اليهودي (نيتشة) قائلاً: (إن الإله قد مات وإن الإنسان الأعلى (سوبرمان) ينبغي أن يحل محله، ومن هنا قرنته البروتوكولات بداروين وماركس) كما نادى بها في القرن العشرين الدارويني الملحد دوليان هكسلي الذي ألف كتاب (الإنسان في العالم الحديث)، زاعماً أن الإنسان اختلق فكرة الله إبان عصور عجزه وجهله، أما الآن فقد تعلم وسيطر على الطبيعة بنفسه ولم يعد بحاجة إليه، فهو العابد والمعبود في آن واحد.

وعبدته مرة عن طريق عبادة المادة ولا غرابة في أن يكون نبي هذه العبادة يهودياً كذلك، وهي ديانة ماركس التي يدين بها اليوم مئات الملايين من البشر.

وعبدته مرة عن طريق عبادة (الجنس) وكان اليهودي فرويد هو بطل هذه العبادة. وعبدته في صور شتى تتفق جميعها في الاستمداد من داروين ونظريته.

وهكذا نجد أن نظرية التطور أسهمت إسهاماً عظيماً في هدم العقيدة الدينية وتحطيمها، وليس من المبالغة أن نقول: إن دورها في ذلك لا يوازيه أي نظرية بشرية أخرى.

() :

فاليهودي (فرويد) استمد من حيوانية الإنسان نظريته في تفسير السلوك الإنساني من الولادة حتى الوفاة تفسيراً حيوانياً بشعاً، فهو يرى أن الدافع الجنسي هو دافعه الوحيد، فالمولود يرضع ثدي أمه بدافع جنسي، ويتبرز بدافع جنسي، ويظل يتعامل مع الآخرين بناءً على هذا الدافع وحده، والدين والأخلاق والمثل العليا كلها نابعة من هذا الدافع أيضاً، وهكذا فالإنسان عند فرويد ليس حيواناً فحسب، بل هو حيوان جنسي، وراء كل حركة منه شهوة جنسية ظاهرة أو خفية^(١) واستمد من ماديته (جبرية نفسية تجعل الإنسان خاضعاً لغيرته مسيراً بها بلا اختياره، فهو لا يملك إلا الانصياع لأوامرها وإلا وقع فريسة الكبت المدمر للأعصاب^(٢)).

:

أدى نمو العلم الميكانيكي والنقد العلمي للتوراة، وانفجار قنبلة التطور عام ١٨٥٩م أبرزت الخلاف بين التقاليد الدينية والعلم الحديث.

وتم تفسير أخبار المعجزات بأنها نتاج أسباب طبيعية إنسانية كالسذاجة والخيال والخرافة، ثم إن التفسيرات الجيولوجية والبيولوجية لماضي العالم قد أدت بالطبع إلى إهمال أي اعتقاد حربي بالحوادث الواردة في الفصول الأولى من سفر التكوين.

وأخيراً: أهمل القرن التاسع بشكل أكيد الاعتقاد بأن الله مبدأ علمي، فقد اختفى الخالق صانع الساعة الذي تصوره عصر التنوير مع تقدم التفسيرات العقلية والعلمية عن كيفية تشكل الكون.

وإذا كان المتدينون من الناس مازالوا يعتقدون بوجود خالق وراء هذه العمليات الطويلة، فهم يفعلون ذلك على أسس دينية أكثر منها علمية^(٣).
نعم ذلك هو الحال وتلك هي النتيجة.

È È Á Á Á Á
È Á Á Á Á Á
È Á ĐÁK Á Á Á

انفلات من قيود الكنيسة وانعتاق من أغلالها، وفرحة غامرة بالفكاك من قبضتها، والتملص من وصايتها، فماذا يتوقع من عبدٍ أحس بنشوة الظفر لأنه أبق عن سيده، أو أسير شم نسيم الحرية بالفرار من معتقله؟

وكما عرف الناس ورأوا واقع ما قاله: (كويت) من (أن كل خطوة إلى الأمام في البحث عن المعرفة قد حوربت باسم الدين)^(١) فقد بدا لهم مصداق ما قاله (الفرد وايتيهيد): «ما من مسألة ناقض العلم فيها الدين إلا وكان الصواب بجانب العلم والخطأ حليف الدين»^(٢).

وما لهم لا يصدقون بذلك وقد رأوا بأب أعينهم سلسلة الهزائم المتلاحقة التي منيت بها الكنيسة أمام العلم، يضاف إلى ذلك طغيانها البغيض الذي يقابل المنجزات العلمية، والتيسيرات المذهلة التي حققها العلم في وسائل الحياة مثل الطب وغيره.

قالت الكنيسة: إن الأرض مسطحة وهي مركز الكون - لأجل عملية الخلاص - وقال كورنيق إنها كروية وتدور حول الشمس، وثبت لهم أن الكنيسة كاذبة والعلم مصيب! وقالت الكنيسة: إن الكون والإنسان خلقا في ستة أيام عادية سنة (٤٠٠٤ ق.م) وقال (ليل وداروين) إن عمر الكون يقدر بمئات الملايين من السنين، والإنسان بالملايين، وثبت أنهما على حق وأن الكنيسة مبطله.

وقالت الكنيسة إن (١=١+١+١) وأثبتت بديهيات الرياضة أن مجموع ذلك = ٣ وقالت الكنيسة -تبعاً لأرسطو: إن الكون مكون من أربعة عناصر وقال العلم: إن عناصره تزيد على التسعين^(٣)، وصدق العلم وكذبت الكنيسة.

وقالت الكنيسة: إن التوراة والأنجيل والرسائل كتب موحاة من الله، وقال النقاد التاريخيون: إنها من صنع مؤلفين غير موضوعيين، وظهر أنهم على صواب فيما قالوا... وقالت الكنيسة: إن الخبز والخمر في العشاء الرباني يتحولان إلى دم وجسد المسيح حقيقة، وقال العلم والعقل البديهة ذلك أبعد المحال.

وقالت الكنيسة: إن الرهبانية وسيلة للطهر، وفضيلة سامية، وقالت علوم النفس والاجتماع: إنها تصادم الطبيعة، وتفضي بالجنس البشري إلى الهلاك المحقق.

È Ð Ð Á K Á È Á È Á Á
È Á K Á Á È Á Á Á
Æ Á ÁK Á Æ Á Á Á

وقالت الكنيسة: إن المرض من الشياطين يمكن مداواته بإقامة القداس، والتمسح بالصلبان، وقال الطب: إن سبب المرض كائنات بالغة الدقة يمكن إفناؤها بالمستحضرات الكيماوية، وأخفقت الكنيسة في حين نجح العلم وأثبت جدواه.

وهكذا سلسلة طويلة مخزنة، في مقدور الرجل العادي أن يستعرضها ليخرج بنتيجة حاسمة هي أن العلم دائماً على صواب، وأن الدين على خطأ باستمرار، لاسيما وأن الكنيسة قد علمته أن ليس ثمة شيء يستحق أن يسمى ديناً إلا تعاليمها المقدسة، وإزاء ذلك بدا من المنطقي جداً أن تتعالى أصوات الناقلين من العلماء وسواهم: ليتحرر العلم من قيود الدين، ولتذهب تعاليم الدين إلى الجحيم.

العلم هو وحده الحق والحكم وهو مصدر النور، كما أنه منبع الرفاهية، أما الدين فجمود ورجعية وخرافات وأساطير.

وإذا عرضت مسألة فليخرس الدين ولينطق العلم!

ليبحث العلماء، ويستخرجوا قوانين الطبيعة وأسرار الكون في الهواء الطلق بعيداً عن الدين! الدين شيء، والعلم شيء آخر، لا علاقة بينهما إلا التضاد، وإذا كان لا بد من إخضاع أحدهما للآخر فليخضع الدين، ولتطبق كل حقائق الدين كالوحي والمعجزات والروح والخلود داخل المعامل والمختبرات، وإلا فلتسقط إلى الأبد!

والحذر الحذر أن يخطئ رجل العلم؛ فيضمن أبحاثه وتجاربه شيئاً من مصطلحات رجل الدين، أو يقحم شيئاً من تفسيرات الدين في صلب تفسيراته لمظاهر الطبيعة؛ لأن ذلك إفساد للروح العلمية وأي إفساد!

وإذا جاز لرجل العلم أن يعتقد شيئاً من الدين بدافع شخصي فإن عليه - كما عبر (بوترو) - حين يدخل المعمل أن يترك الباب معتقداته الدينية ويستعيدها عند خروجه^(١).

ومن خلال هذا نتبين أن موقف الكنيسة كان العامل الأكبر الذي أفضى إلى العداوة الشرسة للدين من قبل العلم، والتحلل الكامل من كل قضاياها ومؤثراته.

أن الكنيسة وما تحمل من خرافات اصطدمت مع العلوم الحديثة كلما اكتشفت شيء قالت الكنيسة هذا باطل ومن قال به فهو كافر، في بداية الأمر انحاز الجمهور مع الكنيسة، فاضطهدت الكنيسة ٣٢٠٠٠ ومنهم من أحرقتهم، ومنهم من أمرت بسجنهم، لكن قادت العلوم الحديثة رأوا أن المعركة مصيرية في ميدان الطب وجدوا أنهم وجدوا أدوية لعلاج كثير من الأمراض، الكهرباء أنارت لهم الحياة ، رأوا أن هذه العلوم النافعة لها آثار طيبة فيها الرخاء والنماء، فثبت قادة العلوم الحديثة أمام الكنيسة، وفي النهاية تعادلت الكفتان، وفتح باب المحاوره بين رجال الكنيسة ورجال العلوم الحديثة، وفي كثير من المناظرات كان ينتصر قادة العلوم الحديثة، وفي لندن شهدت مناظرة كبرى بين قسيس كبير وبين أحد أصحاب العلوم الحديثة، كان القسيس يعتقد أن الزواج خطيئة فقال له رجل العلوم الحديثة: ما تقول في الزواج فقال: خطيئة فقال له كيف أنظر شخصاً هو ثمرة الخطيئة، بعد ذلك هزمت الكنيسة كانت المعركة ساخنة جدا جدا لأنها معركة استئصال، بعد ذلك انتصر قادة العلوم الحديثة لماذا كانت معركة استئصال؛ لأن الكنيسة كانت تقول: أن العلم خطيئة آدم الأولى، قالوا: لأن الله علم آدم فلما علمه الله وقال له لا تأكل من شجرة المعرفة، فلما أكل من الشجرة تنور وتعلم فالتنور والتعلم كان بسبب معصية الله، ولذلك قادة العلوم الحديثة هؤلاء قادة للمعصية فالعلم جريمة آدم الأولى؟؟ وجاءوا بقولهم أيضا أن هذه العلوم الحديثة جاءت بها من عند أعدائنا المسلمين وبعد ذلك يحصل مناظرات وفي النهاية ينتصر قادة العلوم الحديثة فانحازت الجماهير للعلوم الحديثة. ونتج عن ذلك:

في أوروبا الغربية: قالت امنعوا الكنسية ورجال الدين من أن يتكلموا في الرأي العام وافصلوا بين الدين والدولة، وأسست الدول في أوروبا الغربية على العلمانية إلى يومنا هذا، أوروبا الغربية الدولة فيها لا دينية لكنها تسمح للكنيسة وأعوانهم على هذا الفهم ما وجدوا في التوراة دع ما لقيصر لقيصر ودع ما لله لله.

أما أوروبا الشرقية: فكان الأمر أكثر حدة جاءت الماركسية اللينينية فقالت لا بد من الثورة على الدولة الرأسمالية وأخذت تنشر الشيوعية وتدعوا للشيوعية فكانت القسس تقول لا

تثوروا على الظلمة لأننا نجد في الإنجيل من لطمك في الخد فأدر له الخد لأيسر ومن نازعك في أحد طرفي ثوبك فأعطه بقية الثوب، فقال الشيوعيون فضلاً من أنها تحاربت العلم فهي تمنع الشعوب من أن تثور على الظلمة فأطلق ماركس مقولة: الدين أفيون الشعوب، أي: مخدر للشعوب، فرفعوا شعار: اشنقوا آخر رأس رأسمالي بأمعاء آخر قسيس، وأما الدولة فهي حاملة الكفر والإلحاد نستطيع أن نقول مطمئنين: أنه لو كان الدين الأوروبي حقاً خالصاً والعلم الأوروبي يقيناً مجرداً لما حدثت معركة على الإطلاق. وبما أن الدين بصبغته الإلهية النقية لم يدخل المعركة، فإن الأوفق أن نسمي ما حدث في الغرب صراعاً بين الكنيسة والعلم، وليس بين الدين والعلم.

يذكر الدكتور محمد حسين هيتو في كتابه المعجزة القرآنية بعد أن يشخص طابع العصر وسيادة المعارف العلمية وبناء فلاسفة الإلحاد إلحادهم على هذه الاكتشافات من خلال ادعائهم أنهم عرفوا السبب والمسبب والعلة والمعلول عن طريق العلم اليقين فلم يعود بحاجة اليوم إلى عزوا هذه الظواهر التي كنا نراها إلى قدرة الله وبالتالي وقع التناقض بين الدين المسيحي والعلم لأن الكنيسة دينها محرف وتتعارض مع العلم المعاصر، ثم ظهور المحجوم على جميع الأديان ومنها الإسلام عن طريق ضعف الإيمان في ديار الإسلام، وبسبب ضعف المسلمين وغفلتهم وسيطرة أعدائهم عليهم، بعد كل هذا يقول المؤلف: «وهنا ظهرت المعجزة القرآنية كالمارد الجبار الذي لا يقف في وجهه شيء إلا حطمه لتتهتز الأبراج الوهمية التي بناها فلاسفة الإلحاد بالتمويه والتدليس على غفلة من دعاة الدين الحق وبعد عنهم ولتقول للناس جميعاً من مؤمن وملحد مهلاً أيها الناس فإن الذي وصلت إليه لن يكون سبباً للجحود والإلحاد، وإنما هو من أعظم دعائم الإيمان والإذعان.. فتنبه كثير من علماء المسلمين إلى آيات الإعجاز العلمي في القرآن»^(١)

وجاءت الأبحاث العلمية في كل المجالات الكونية وبعد طول جهد ووقت ومال تظهر صدق ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم وتبين السبق العلمي للشيعة الموحدة إلى

الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا وعد الله عز وجل حيث قال:

[فصلت: ٥٣]

:

(١)

لذلك لا يجوز بأي حال من الأحوال تبنيها ولا حتى بقائها في الدول الإسلامية ولسنا بحاجة إليها أو إلى غيرها من المناهج الوضعية لأن الدين كمل برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وقال في محكم كتابه ... [الأنعام: ٣٨]

عرفنا مما سبق أن العلمانية رد فعل خاطئ لدين محرف وأوضاع خاطئة كذلك، وإنها نبات نكد خرج من تربة خبيثة ونتاج سيئ لظروف غير طبيعية. فأوروبا نكبت بالكنيسة وديانتها المحرفة وطغيانها الأعمى، وسارت أحقاباً من الدهر تتعثر في ركابها، ثم انتفضت عليها وتمردت على سلطتها، فانتقلت إلى انحراف آخر وسارت في خط مضاد، إلا أنه أعظم خطراً وأسوأ مصيراً. انتقلت من جاهلية تلبس مسوح الدين إلى جاهلية ترتدي مسوح التقدم والتطور، وهربت من طغيان رجال الدين والإقطاعيين فوقعت في قبضة الرأسماليين وأعضاء الحزب الشيوعي. وذلك الانتقال وهذا الهروب دفعت إليه ظروف تاريخية بيئية نابعة من واقع الحياة الأوروبية خاصة

ولم يكن حتماً على مجتمع ابتلي بدين محرف أن يخرج عنه ليكون مجتمعاً لا دينياً، بل الافتراض الصحيح هو أن يبحث عن الدين الصحيح. فإذا وجدنا مجتمعاً آخر يختلف في ظروفه عن ذلك المجتمع، وهو الدين الإسلامي فيختلف عنه من نواحي عدة أهمها أن هذا الدين لم يحرف وهو بريء من كل طغيان سياسي أو اقتصادي أو كنسي وغير ذلك

عند ذلك نعلم علم يقينياً أننا لسنا بحاجة إلى هذه العلمانية في البلاد الإسلامية؛
لاختلاف الأسباب، ولأن ديننا الإسلامي سالم من كل نقص أو عيب، ولذلك نرى اليوم
الإعجاز العلم والتشريعي والسبق العلمي في كل المجالات والذي يشهد بكمال هذا الدين
من كل النواحي ولكل زمن؛ لأن الله تكفل بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لِحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وأخبرنا سبحانه بأنه أتم تشريعه فقال: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ
شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] والإعجاز العلمي في زمننا يثبت ذلك^(١)

- 1

- 2

- 3

- 4

- 5

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله الصادق
الأمين وبعد

تظهر أهمية الإعجاز العلمي بين المسلمين في عدد من الأمور منها:

للإعجاز العلمي أثر بين المسلمين في تقوية الإيمان وزيادته كأثر المعجزات التي شاهدها
الصحابة، فالمعجزات الأولى للصحابة كانت سبباً لإسلامهم والتي تليها كانت لتقوية الإيمان
وزيادته وهذا الإعجاز العلمي بين المسلمين هو لزيادة الإيمان وتقويته وتثبيتته، ومع كثرة
الشبهات من العلمانيين والكفار تصبح المعجزات العلمية رداً واضحاً ومعجزة بينه في زمننا
لتثبيت المؤمنين على إيمانهم ولزيادة الإيمان قال تعالى:

[التوبة: ١٢٤]

فمثل هذه المعجزات مثل حصن حصين في كل يوم يزداد في تحصينه وكذلك هذا
الدين.

فإذا كان الصحابة قد رأوا العشرات من المعجزات في أحوال مختلفة والتي قد سمعنا بها
من طرق صحيحة والتي تسمى دلائل النبوة والتي تشهد للرسول صلى الله عليه وسلم وتثبت
إيمان المؤمنين وتقويه، ومن ذلك^(١):

:

^١ - دلائل النبوة د. منقذ بن محمود السقار، ١/٢، ٣ بتصرف.

"(١)

فإذا كان الصحابة قد رأوا عشرات المعجزات والدلائل التي تظهر صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وتزيد إيمان المؤمنين وتثبته وتقويه، ومن قرب من ذلك الجيل، فكيف بمن بعد عن ذلك الجيل؟ الجواب: في كل يوم تظهر معجزات لماذا؟ لأن هذا الدين ليس خاصاً بالصحابة أو بمن أسلم من العرب فقط أو للجيل الأول دون الأجيال الأخرى ليس هذا بل هو للناس جميعاً أبيضهم وأسودهم الجيل الأول ومن بعده إلى قيام الساعة ولذلك أمر الله الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغ هذا الدين للناس جميعاً قال تعالى:

[الأعراف: ١٥٨]

^١ - السلسلة الضعيفة للألباني، ١/١٧٣، برقم: ٧٢. لكن معناه صحيح يدل عليه الواقع وكذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقال تعالى يخبرنا عن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم
[سبأ: ٢٨] وقال تعالى:

[الأحزاب : ٤٠] فإذا عرفنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم مرسل للناس جميعاً وأنه لا نبي بعده فقد جعل الله عز وجل لهذا الدين معجزة كبرى أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عظمتها بقوله صلى الله عليه وسلم:

"(١) فهذه المعجزة الكبرى تُظهر في كل زمن وعصر صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنها في عصرنا الحاضر الإعجاز العلمي ويظهر أثره في تقوية الإيمان وتشبيته بين المسلمين ويقوم مقام المعجزات المشاهدة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم بل هو معجزة مشاهدة في عصرنا الحاضر
[التوبة : ١٢٤]

(٢)

عندما 1 9 5 8 وكتبت
الصحف عن عبد الكريم قاسم^(٣) وكان الانقلاب خرجت المظاهرات في مصر^(٤) وهي تقول:
ماكو^(٥) زواج ماكو مهر ارموا القاضي في النهر، وكتبت الصحف الدين يتناقض مع العلم،
بعدها مرت أشهر فإذا بالشيخ عبد الرزاق نوفل يكتب أنه سيرد على الصحيفة الرمادية
وكتبوا له مقال أو مقالين في الصحف فأعجبني كلامه فترة فإذا كتاب ينزل باسم القرآن
والعلم الحديث فذهبت إلى صاحب الكشك فحجزت نسختين وأخذت النسخة عصراً
فرتبت أموري بعد المغرب ولم أنم إلا وقد قرأت نصفه أو ثلاثة أرباعه فأجاب عن ما يدور في

^١ - أخرجه البخاري في صحيحه، ١٩٠٥/٤، برقم: ٤٦٩٦.

^٢ - سمعتها من الشيخ في بيته قبل عيد عرفة بثلاثة أيام بتاريخ: ٩/ ٢٠٠٨م

^٣ - الرئيس السابق للعراق .

^٤ - أتباع النظريات الهدامة والأحزاب العلمانية.

^٥ - هذه باللهجة التي قيلت في المظاهرة والمعنى لا نريد.

الواقع .. بعد ذلك حصلت لي حادثة وهي أن طلاب كانوا معي⁽¹⁾ وكانوا رياضيين، وكنت الزعيم لهم في الكشفافة، بعدما قرأت الكتاب أردت أن أنشر ما قرأت، وأخذت أحدث من بجواري من المجموعة عن الإعجاز، وكان واحد بجوار الغرفة زعيم شيوعي، والفاصل بين غرفتنا وغرفته فاصل زجاجي، هذا الشيوعي كان محبوباً جداً؛ لأنه كريم تطلبه أي شيء يعطيك، واكتشفنا أخيراً أنه عميل يعطى أموالاً من إحدى السفارات مقابل نشاطه... وكان يسمع من خلف الزجاج، فجاء بالبنطال القصير والفنيلا يقول: أترك... أترك

يا عبد المجيد اترك السحر والكهانة الناس صعدوا القمر وأنت باقي مع الرجعية والخرافة، فقلت: اسمع إما أن تقنعني وإما أن أقنعك، قال: نعم، ما دليلك؟ قلت: الإعجاز العلمي، فكنت أتكلم عن الإعجاز، وكان وجهه يسود، وبعد الكلام قلت له: اسلم اسلم، وهم يقولون، اتركه ما يريد أن يسلم، وأنا أقول: لا بد أن يسلم، وبعد ذلك كان إذا حدث نقاش اتجهت الأنظار حولي فأخذت أكثر من القراءة وشراء الكتب؛ لأنهم كانوا يسألوني وأنا أبحث عن الجواب، بعدها كان هناك شخص من اليمن من بيت علم أديب ذو أخلاق قد تأثر بالأفكار المنتشرة في ذلك الوقت قال: يا شيخ صحيح أن الإسلام معجز في عقائده لكن المشكلة في شرائعه، اليوم عصر الصواريخ، عصر الذرة، لا يعقل أن الشريعة التي كانت في زمن الناقة تتناسب مع وقتنا الحاضر .. فخرجت من عنده وأنا محتار فخرجت إلى معرض الأريكية وفيها معرض الكتب القديمة فخرجت فإذا بكتاب أمامي معلق اسمه (دولة القرآن) لطفه عبد الباقي سرور فوقع الكتاب الثاني فأزاح ما في صدري ونفسي ورجعت إلى هذا الشخص وناقشته فسكت ولم يستطع الرد.

بل عندما انتشرت الأحزاب القومية والأفكار الغربية والنظريات الهدامة كان السبيل لتثبيت إيمان المؤمنين وتقويته هو الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في هذا العصر، ولذلك كان تأليف الشيخ عبد المجيد عزيز الزنداني لكتابه (التوحيد) في فترة التأثر بالأحزاب القومية والشيوعية، وهذا الكتاب فيه بعض الإشارات لسبق القرآن الكريم والسنة النبوية لبعض العلوم والتي تزيد من الإيمان، ويظهر تأثر الغربيين بالقرآن ومن ذلك مثلاً:

¹ - الشيخ عبد المجيد الزنداني في تلك الفترة ذهب للدراسة في مصر وكان يسكن هو ومجموعات من الشباب.

١ - إظهار تأثرهم بالقرآن فهذا المستشرق (سيل) يقول: « إن أسلوب القرآن جميل وفياض ومن العجيب أنه يأسر بأسلوبه أذهان المسيحيين فيجذبهم إلى تلاوته سواء في ذلك الذين آمنوا به أم الذين لم يؤمنوا به وعارضوه» .

٢ - ذكر فيه أمثلة للسبق العلمي للقرآن والسنة من ذلك تناقص الهواء كلما ازداد الإنسان صعوداً للفضاء وبالتالي يؤدي إلى ضيق الصدر، ومنها أيضاً الإخبار عن بعض أسرار الجسم مثل تركز الألم في الجلد^(١).

فهذه الأمثلة في هذا الكتاب وغيره تعمل على تقوية الإيمان للمؤمنين، وتقول للغرب بلسان الحال: لا تغتروا بما اكتشفتهم في الجوانب العلمية المختلفة فقد أخبرنا عنها نبي أمي في بيئة أمية بالرغم من عدم وجود أدوات البحث في ذلك الزمن مما يؤيد أنه مرسل من عند الله قال تعالى:

[النساء: ١٦٦]

ويؤيده قوله تعالى: [النجم: ٣] فهو حجة على غير

المؤمنين به وزيادة إيمان لمن آمن به واتبع هداه قال تعالى:

[محمد: ١٧].

^١ - توحيد الخالق للشيخ عبد المجيد الزنداني، ٤٠ وما بعدها بتصرف.

فالإعجاز العلمي لا يقتصر أثره على زيادة إيمان المؤمنين وتثيئته بل يتعدى ذلك
لأمور أخرى منها على سبيل المثال لا الحصر ما سنتطرق إليه في هذا المطلب وهو:

: الإزالة، والمقصود: بالإشكال «

»^(٢)

»^(١) : «

وفي هذا المطلب أتينا بأمثلة تبين دور الإعجاز العلمي في رفع الإشكال في
الأحاديث المشكّلة وذلك بسبب احتمال اللغة لأكثر من معنى ويأتي بسبب التعارض
الظاهر أو وهم بعض رواة الأحاديث لحديث أو الخطأ في شرح حديث وأشياء أخرى
ليس هذا المكان لذكرها فهناك مؤلفات ذكرت أسباب الخلاف، ومن الأمثلة على دور
الإعجاز العلمي في رفع الإشكال:

هل يكتمل خلق الجنين النطفة والعلقة والمضغة والعظام بعد الأربعين يوماً أم بعد
مائة وعشرين يوماً، بسبب التعارض الظاهر لبعض هذه الأحاديث في هذا الموضوع
وكيفية استخراج الراجح وسبب التعارض ورفع الإشكال هذا ما سنراه في هذا المثال

:

عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق
المصدوق: "

١ - المعجم الوسيط، ١/٤٩١.

٢ - التعريفات، ١/٢٧٦.

1(1)

وجاء هذا الحديث في البخاري بلفظ:

"

" (٢)

فالفارق بين اللفظين أن لفظ مسلم فيه زيادة على لفظ البخاري لفظة: " ولا توجد هذه اللفظة في صحيح البخاري ولذلك اختلف شراح الأحاديث إلى قولين في شرح هذا الحديث حول متى يكتمل جمع الخلق بعد أربعين يوماً أم بعد مائة وعشرين يوماً : اكمال جمع الخلق بعد مائة وعشرين يوماً وهذا المعنى يمكن فهمه من لفظ الحديث في صحيح البخاري " لأنهم حملوا لفظة: " على المثلية في الأربعين فيكون أربعين يوماً نطفة، وأربعين يوماً علقة، وأربعين يوماً مضغة، فيكون الجمع لهذه الأيام مائة وعشرين يوماً، ثم يكون نفخ الروح بعدها وأصحاب هذا القول كثر منهم:

- الإمام النووي في كتابه شرح النووي على صحيح مسلم^(٣)
- بدر الدين العيني الحنفي في كتابه عمدة القاري شرح صحيح البخاري^(٤)
- ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) في فتح الباري^(٥)
- القاضي عياض^(٦)
- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) في كتابه أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن^(٧).

١- أخرجه مسلم في صحيحه، ٤/٢٠٣٦، رقم: ٢٦٤٣.

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، ٣/١١٧٤، رقم: ٣٠٣٦.

٣- شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/١٩٠.

٤- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي عمدة القاري، ٣/٢٩٣.

٥- فتح الباري، ١١/٤٨٣.

٦- فتح الباري، ١١/٤٨٤.

٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي المتوفى: ١٣٩٣هـ أضواء البيان، ٤/٢٧١.

- الإمام القرطبي في تفسيره^(١)
- ابن القيم محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية^(٢)
- بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير^(٣)

وأما أصحاب هذا القول فنذكر منهم:

- ابن الزملاكي^(٤): «

6 6(7

- 7 2 7 «^(٥).

يقول ابن حجر في فتح الباري "ومال بعض الشراح المتأخرون إلى الأخذ بما دل عليه حديث حذيفة بن أسيد من أن التصوير والتخليق

عن ابن الحاجب في الجواب عن ذلك أن العرب إذا عبرت عن أمر بعده أمور متعددة ول بعضها تعلق بالأول حسن تقديمه لفظاً على البقية وإن كان بعضها متقدماً عليه وجوداً، وحسن هنا لأن القصد ترتيب الخلق الذي سبق الكلام لأجله^(٦)

١- تفسير القرطبي، ٧/١٢.
 ٢- التبيان في أقسام القرآن دراسة وتحقيق: محمد حامد الفقي الناشر، ٢/ ٣٤٠.
 ٣- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي المتوفى: ١٣٩٣ هـ في التحرير والتنوير من التفسير سورة البقرة.
 ٤- فتح الباري، ٤٨٥/١١.
 ٥- الأعلام للزركلي، ٦/٢٨٤.
 ٦- فتح الباري

وإذا عدنا إلى فهم علماء المسلمين للحديث النبوي المشار إليه سابقاً نرى أنه قد وقع خلاف بينهم في تحديد مدة النطفة والعلقة والمضغة، هل هي أربعون يوماً لكل مرحلة منها أم هي أربعين يوماً للمراحل جميعاً بناء على تفسيرهم لحديث عبد الله بن مسعود السابق.

لقد فسر بعض هؤلاء العلماء هذا الحديث على أنه يعني أن النطفة والعلقة والمضغة تتم على التوالي في فترات طول كل منها أربعون يوماً فيكون المجموع مائة وعشرون يوماً، وفهموا أن عبارة " تشير إلى الفترة الزمنية " واستنتجوا من ذلك أن المضغة لا تتم إلا بعد (١٢٠) يوماً¹⁾.
2).

وبعد تجميع النصوص الواردة في الباب وتحقيقها والنظر فيها جميعاً تبين أن القول بأن المضغة لا تتم إلا بعد مائة وعشرين يوماً قول غير صحيح للأدلة التالية:
١) روى حديث عبد الله بن مسعود السابق كل من الإمامين البخاري ومسلم، ولكن رواية مسلم تزيد لفظ " في موضعين قبل لفظ " وقبل لفظ " وهي زيادة صحيحة تعتبر كأنها من أصل المتن جمعاً بين الروايات.
وعلى هذا تكون الرواية التامة لألفاظ الحديث كما هي ثابتة في لفظ مسلم: "

3) "

٢) ذكر القرآن الكريم أن العظام تتكون بعد طور المضغة، قال تعالى:
[المؤمنون: ١٤] وحدد النبي صلى الله عليه وسلم في حديث حذيفة أن بدء تخلق العظام يكون بعد الليلة الثانية والأربعين من بدء تكون النطفة فقال صلى الله

١- علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة للشيخ عبد المجيد عزيز الزنداني ومجموعة برفسورات وغيرهم، ١٤٩.

٢- علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة ١٤٩-١٥٢.

٣- أخرجه مسلم في صحيحه، ٤/٢٠٣٦، برقم: ٢٦٤٣.

عليه وسلم "

"(١)

فالقول بأن العظام يبدأ تخليقها بعد مائة وعشرين يوماً يتعارض مع ظاهر الحديث الذي رواه حذيفة تعارضاً بيناً .

(٣) أثبتت دراسات علم الأجنة الحديثة أن تكون العظام يبدأ بعد الأسبوع السادس مباشرة، وليس بعد الأسبوع السابع عشر مما يؤكد المعنى الواضح الظاهر لحديث حذيفة . حيث استطاع العلم الحديث اليوم أن يصور المراحل المختلفة للجنين وذلك بغرس كاميرا في الرحم تلتقط الصور.

وعلى هذا يتضح أن معنى " في حديث عبد الله بن مسعود لا يمكن أن يكون مثلية في الأربعينات من الأيام .

وللتوفيق بين أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب نقول: إنه لما كان اسم الإشارة في قوله " لفظاً يمكن صرفه إلى واحد من ثلاثة أشياء ذكرت قبله في الحديث، وهي:

فهو لفظ مجمل يحمل على اللفظ المبين للمقصود من اسم الإشارة في قوله، والذي يبين لنا ذلك حديث حذيفة الذي يمنع مضمونه أن يعود اسم الإشارة على الفترة الزمنية (أربعين يوماً) لأن النص المجمل يحمل على النص المبين حسب قواعد الأصوليين.

ولا يصح أن يعود اسم الإشارة على (لأن تكراره في الحديث لا يفيد معنى جديداً فكأنه قال: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك البطن علقه مثل ذلك ثم يكون في ذلك البطن مضغة مثل ذلك) وهذا التكرار للفظ البطن سيكون حشواً في الكلام يتعارض مع فصاحة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا كان اسم الإشارة في الحديث لا يصح إعادته إلى الأربعين يوماً ولا إلى بطن الأم فيتعين بناء على ذلك أن يعود اسم الإشارة في قوله " على " لا على

١ - أخرجه مسلم في صحيحه، ٢٠٣٧أ، برقم ٢٦٤٥.

الأربعينات، وهو ما توصل إليه، وحققه أحد علماء المسلمين المشهورين - ابن الزمكاني - في القرن السابع الهجري.

واستنتج من ذلك أن النطفة والعلقة والمضغة تتم خلال الأربعين يوماً الأولى .

: «وأما حديث البخاري فنُزل على ذلك، إذ معنى يجمع في بطن

أمه، أن يحكم ويتقن، ومنه رجل جميع أي مجتمع الخلق» .

فهما متساويان في مسمى الإتقان والإحكام لا في خصوصه، ثم إنه يكون مضغة في حصتها أيضاً من الأربعين، محكمة الخلق مثلما أن صورة الإنسان محكمة بعد الأربعين يوماً فنصب مثل ذلك على المصدر لا على الظرف.

ونظيره في الكلام قولك: إن الإنسان يتغير في الدنيا مدة عمره.

ثم تشرح تغيره فتقول: ثم إنه يكون رضيعاً ثم فطيماً ثم يافعاً ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً ثم هرمًا يتوفاه الله بعد ذلك.

وذلك من باب ترتيب الإخبار عن أطواره التي ينتقل فيها مدة بقائه في الدنيا .

ومعلوم من قواعد اللغة العربية أن (تفيد الترتيب والتراخي بين الخبر قبلها، وبين

الخبر بعدها، إلا إذا جاءت قرينة تدل على أنها لا تفيد ذلك، مثل قوله تعالى:

[الأنعام: ١٥٤، ١٥٣] . ومن *

المعلوم أن وصية الله لنا في القرآن جاءت بعد كتاب موسى ف (ثم) هنا لا تفيد ترتيب المخبر عنه في الآية، وعلى هذا يكون معنى حديث ابن مسعود:

" (أي في ذلك العدد من الأيام)

" (مجتمعة في خلقها) " (أي مثلما اجتمع خلقكم في الأربعين) "

" (أي في نفس الأربعين يوماً) " (مجتمعة مكتملة الخلق المقدر لها)

" أي مثلما اجتمع خلقكم في الأربعين يوماً.

وقوله " (١) أي: ثم إنه يكون في الأربعين المذكورة علقة

تامة الخلق، متقنة محكمة الإحكام الممكن لها، الذي يليق بنعمه سبحانه وتعالى (٢) .

وبهذا التوفيق بين النصوص يرتفع الخلاف

١ - الحديث سبق تحريجه.

٢ - علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة

:

جاءت أحاديث في السنة تقول إن الحبة السوداء شفاء من كل داء فهل المراد من ذلك العموم على إطلاق الحديث وبالتالي تدخل في شفاء كل الأمراض أما المراد الخصوص؟

انقسم شراح الأحاديث إلى قسمين فما هو الراجح؟ هذا ما سنراه في هذا البحث.
أولاً: ما هي الحبة السوداء؟

عُرِفَت الحبة السوداء أيام الرسول صلى الله عليه وسلم بالشونيز، وكان هذا هو الاسم الغالب لها، ولون هذه البذور أسود ولذا عرفت بالحبة السوداء، ويختلف اسمها باختلاف الدول «فتسمى بحبة البركة في مصر، وبعض الأماكن تسمى بالكرابوا السوداء، وتسمى بالكمون الأسود في السودان، وتعرف في اليمن بالقحطة، وفي اللغة الفارسية بالشونيز، والاسم العلمي لها *Nigel sativa*»^(١).

وهذه الحبة السوداء نالت الاهتمام عند المسلمين بسبب ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم لها، فلذا ذكرها شراح الأحاديث بشيء من التفصيل كما ذكر خصائصها واستعمالاتها المختلفة الأطباء المسلمون وغيرهم.

:

تحتوي بذور حبة البركة على زيت طيار تصل نسبته إلى (١٥ و ٥٠%)، وزيت ثابت حوالي (٣٣%) ويحتوي الزيت الطيار الذي يحصل عليه بواسطة عملية التقطير على مادة النيجللون وهي التي يعزى إليها المفعول الطبي لزيت حبة البركة^(٢).

ورد ذكر الحبة السوداء في أغلب كتب الحديث، فقد ورد ذكرها في صحيح البخاري ومسلم، وفي مسند أحمد، وفي سنن الترمذي، وابن ماجه، والنسائي، وغيرها من

١- الحبة السوداء في الطب الشعبي: الدكتور الفاضل العبيد عمر، ١٥.

٢- الشفاء بالحبة السوداء بين الإعجاز النبوي والطب الحديث: د. حسان شمسي باشا، ١٨.

كتب الحديث، وهي متقاربة الألفاظ متقاربة المعنى وسنقوم في هذا المطلب بذكر هذه النصوص كما يلي:

أولاً: النصوص

١- عن أبي هريرة رضي الله عنها أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "والسامة الموت، والحبة السوداء:

الشونيز وذلك كما بينته الأحاديث الأخرى.

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

" (٢)

٣- وعنه رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

" والسامة الموت (٣)

:

الألفاظ التي وردت في هذه الأحاديث فيها عموم، وهو أنها جعلت الحبة السوداء شفاء من كل داء، فعمت جميع الأدوية، وقد اختلف الأقدمون في شرح هذا الحديث، فذهب قوم إلى تخصيص هذا الحديث، وقالوا المراد بالعموم هنا الخصوص، والقول الثاني: أن المراد به العموم كما ورد.

:

فالذين ذهبوا إلى أن المراد به الخصوص هم ابن حجر، والخطابي، وأبو بكر بن العربي والمنناوي.

: «ويؤخذ من ذلك أن معنى كون الحبة شفاء من كل داء

أنها لا تستعمل في كل داءٍ صرفاً، بل ربما استعملت مفردة وربما استعملت مركبة، وربما

١- أخرجه البخاري في صحيحه، باب الطب، ٢١٥٣/٥ رقم الحديث: ٥٣٦٤، ٥٣٦٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام باب التداوي بالحبة السوداء، ٤/ ١٧٣٥ رقم الحديث: ٢٢١٥، واللفظ لمسلم.

٢- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب التداوي بالحبة السوداء، ٤/ ١٧٣٥ رقم الحديث: ٢٢١٥.

٣- أخرجه الترمذي في سننه، ٤/ ٣٨٥ رقم الحديث: ٢٠٤١ قال الشيخ الألباني: صحيح.

استعملت مسحوقه وغير مسحوقه، وربما استعملت أكلاً، وشرباً، وسعوطاً، وضماداً، وغير ذلك .

: " وقيل: إن قوله " تقديره: يقبل العلاج بها، فإنها تنفع من الأمراض الباردة، وأما الحارة فلا... "

" : قوله " هو من العام الذي يراد به الخاص؛ لأنه ليس في طبع شيء من النبات ما يجمع جميع الأمور التي تقابل الطبائع في معالجة الأدوية بمقابلها، وإنما المراد أنها شفاء من كل داء يحدث من الرطوبة.

وقال أبو بكر بن العربي: العسل عند الأطباء أقرب إلى أن يكون دواء من كل داء من الحبة السوداء، ومع ذلك فإن من الأمراض ما لو شرب صاحبه العسل لتأذى به، فإن كان المراد بقوله في العسل: الحبة السوداء على ذلك أولى.

وقال غيره: كان النبي صلى الله عليه وسلم يصف الدواء بحسب ما يشاهده من حال المريض، فلعل قوله في الحبة السوداء وافق مرض من مزاجه بارد، فيكون معنى قوله " أي من هذا الجنس الذي وقع القول فيه، والتخصيص بالحيشية كثير شائع، والله أعلم»^(١).

وقال المباركفوري: «" أي: الزموا استعمالها بأكل

وغيره " يحدث من الرطوبة لكن لا تستعمل في داء صرفاً بل تارة تستعمل مفردة، وتارة مركبة، بحسب ما يقتضيه المرض قاله المناوي»^(٢).

فمن هذا الكلام السابق يتضح أنهم خصصوا العموم الوارد في الحديث

:

(٣)

١- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، ٤٥/١٠ .

٢- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى: محمد بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلاء، ١٦٢/٦.

٣- هو الشيخ الإمام: محمد بن أحمد بن عبد الملك الأموي مولاهم، القرشي، المالكي فقيه، محدث تولى القضاء، وصنف التصانيف، وكان اسند من بقي بالأندلس، أبو محمد بن أبي جره المغربي المالكي، توفى بالديار المصرية في ذي القعدة عام: ٥٩٩هـ. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، ٥٢/ ٢٨٥، ومعجم المؤلفين، ٧٠/٣.

قال ابن حجر: «قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: تكلم الناس في هذا الحديث، وخصوا عمومهم، وردوه إلى قول أهل الطب والتجربة، ولا خفاء بغلط قائل ذلك؛ لأننا إذا صدقنا أهل الطب ومدار علمهم غالباً إنما هو على التجربة التي بناؤها على ظن غالب، فتصديق من لا ينطق عن الهوى أولى بالقبول من كلامهم. انتهى، وقد تقدم توجيه حمله على عمومهم بأن يكون المراد بذلك ما هو أعم من الأفراد والتركيب، ولا محذور في ذلك ولا خروج عن ظاهر الحديث»^(١).

:

تتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية:

- أ- () : وبه كبريت، وفوسفور، وفوسفات، وكاروتين، وحديد، وسليسيوم.
- ب- () : وهو يحتوي على زيتها الذي يحتوي على الأنزيمات، والمهرمونات، والمواد الكربوهيدراتية، والبروتين .
- ج- : وهو رمادي اللون يحتوي على توكوفيرول، ومواد كبريتيه، ومعادن^(٢).

:

أثبتت التجارب العلمية والأبحاث أن للحبة السوداء أثراً في تقوية مناعة الجسم، وقبل أن نتكلم عن الدراسات التي أثبتت دور الحبة السوداء في تقوية جهاز المناعة في جسم الإنسان، سنتوقف قليلاً عند هذا الجهاز ما هو دوره وكيفية عمله.

:

يقوم الجهاز بوظيفتين متكاملتين لمنع المرض، والتخلص من مسببه الغازي للجسم، إما بتحطيمه بواسطة عملية البلعمة، أو بإنتاج أجسام مضادة وخلايا متخصصة متوافقة مع تركيب كل كائن يغزو الجسم، وذلك لضمان القضاء عليه بشكل نهائي، وعليه فالمناعة التي يقدمها هذا الجهاز للجسم يمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسيين:

١- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، ٤٥/١٠.

٢- الطب البديل وقاية وشفاء: ماهر حسن محمود محمد، دبلوم الدراسات العليا وماجستير التربية، ٧٣، ٧٤، دار الندى الإسكندرية مصر.

وتعتبر خط دفاع أولي للجسم إذ تعمل على منع دخول الجرثوم الغازي للجسم، أو إبادته قبل تمكنه من احتلال الأنسجة وتكاثره فيها وتسببه للمرض، وهي مناعة غير نوعية، حيث إنها توجد لصد جميع الغزاة من الكائنات الدقيقة والعوامل الخارجية الضارة بكيفية واحدة¹⁾.

هي قدرة الجسم على إنشاء مناعة خاصة قوية وتامة ضد جميع العوامل الغازية للجسم كل على حدة، وتسمى أيضاً المناعة المكتسبة، وهي المناعة التي يكتسبها الجسم نتيجة لتفاعل الجهاز المناعي مع عامل خارجي اخترق دفاعات الجسم واحتل الأنسجة، وربما سبب مرضاً ظاهراً مثل الميكروبات الفتاكة والفيروسات والسموم والأنسجة الغريبة من الحيوانات الأخرى.

وتتكون هذه المناعة من النسيج الليمفاوي، والخلايا الليمفاوية التي تنتج الأجسام المضادة، ومن الخلايا الليمفاوية المتخصصة للقضاء على كل ميكروب غاز للجسم حسب تركيبه ووصفه²⁾.

أثبتت الدراسات الحديثة أن للحبة السوداء دوراً في زيادة المناعة، ومن هذه الدراسات:

- أجريت على ٢٧ متطوعاً ممن تبدو عليهم أمارات الصحة، وقسموا إلى مجموعتين أعطيت المجموعة الأولى جرماً واحداً من الحبة السوداء مرتين يومياً، وأعطيت المجموعة الثانية حبوباً مشابهاً تحتوي على مسحوق الفحم المنشط وقد أجري تقييم لوظائف المناعة عند هاتين المجموعتين.

١- مجلة الإعجاز العلمي: الحبة السوداء شفاء من كل داء، د. عبد الجواد الصاوي، ١٧-١٨، العدد الرابع عشر، ذي القعدة ١٤٢٣هـ، وكتاب الشفاء بالحبة السوداء بين الإعجاز النبوي والطب الحديث: د. حسان شمسي باشا بتصرف وللتنصيل انظر للمقال .

٢- مجلة الإعجاز العلمي: الحبة السوداء شفاء من كل داء، د. عبد الجواد الصاوي، ١٧-١٨، العدد الرابع عشر، ذي القعدة ١٤٢٣هـ، وكتاب الشفاء بالحبة السوداء بين الإعجاز النبوي والطب الحديث: د. حسان شمسي باشا بتصرف.

أظهرت نتائج الدراسة زيادة بلغت (٥٥%) في نسبة الخلايا الليمفاوية المساعدة(ت٤) إلى الخلايا الكابحة (ت٨) وزيادة بلغت (٣٠%) في نشاط خلايا القاتل الطبيعي^(١).

- وقد أعيدت الدراسة مرة أخرى على مجموعة ثانية من المتطوعين، وذلك لوقوع معظم المتطوعين في الدراسة الأولى تحت ضغوط مؤثرة شخصية ومالية، وضغوط متعلقة بالعمل خلال فترة الدراسة، وذلك لتفادي عامل الضغوط (الإجهاد) على جهاز المناعة، وأجريت على ١٩ متطوعاً، وقسمت إلى مجموعتين، وأعطيت المجموعة الأولى بمقدار جرام واحد مرتين في اليوم، وأعطيت المجموعة الثانية مسحوق الفحم المنشط.

أظهرت نتائج الدراسة: أن هناك تحسناً في نسبة الخلايا المساعدة إلى الخلايا الكابحة بنسبة (٧٢%)، في حين لم يحدث أي تغيير عند المجموعة التي لم تعط الحبة السوداء. أما بالنسبة لنشاط خلايا القاتل الطبيعي: -وهي الخلايا التي تقتل الخلايا الغريبة بواسطة سم خلوي- فقد ارتفعت نسبتها في المجموعة الأولى التي أعطيت الحبة السوداء^(٢).

: ثبت أن تناول الحبة السوداء بالفم بجرعة جرام واحد مرتين يومياً، له أثر مقو على وظائف المناعة المختلفة.

: من الممكن أن يلعب مقو طبيعي للمناعة مثل الحبة السوداء دوراً هاماً في علاج السرطان والإيدز، وبعض الحالات المرضية الأخرى التي ترتبط بنقص المناعة^(٣). ونتائج الأبحاث والدراسات التي أجريت مع الإنسان حول الحبة السوداء التي ذكرت في مجلة الإعجاز العلمي هذه خلاصتها:

١- تابع المصدر السابق .
٢- مجلة الإعجاز العلمي، مقال بعنوان: الحبة السوداء شفاء من كل داء، د. عبد الجواد الصاوي، ١٧- ١٨، العدد الرابع عشر، ذي القعدة ١٤٢٣هـ ومن كتاب الشفاء بالحبة السوداء بين الإعجاز النبوي والطب الحديث: د. حسان شمسي باشا .
٣- الشفاء بالحبة السوداء بين الإعجاز النبوي والطب الحديث: د. حسان شمسي باشا، ٥٣-٥٤.

أن مستخلص الحبة السوداء يزيد من إنتاج بعض الوسائط المناعية " إنترليوكين ٣ " من الخلايا اللمفاوية البشرية، وأن له تأثيراً منشطاً على استجابة الخلايا اللمفاوية لأنواع معينة من الخلايا السرطانية .

أن الحبة السوداء تزيد من إفراز (إنترليوكين نوع ١ - بيتا) الذي يقوم بتنشيط خلايا البلعمة.

أن مركبات الثيموكيون والدايثيموكيون لهما تأثير مدمر على أنواع عديدة من الخلايا السرطانية البشرية.

أن مستخلص الإيثانولي من بذور الحبة السوداء له تأثير سمي قوي على بعض الخلايا السرطانية وتأثير قوي ومنشط للمناعة الخلوية.

أن الثيموكيون المركب الموجود في الحبة السوداء له نشاط واضح مضاد للأورام السرطانية وغيرها.

أن زيت الحبة السوداء يفيد في علاج الروماتيزم، والأمراض الالتهابية ذات العلاقة به.

أن مركب النيجليلون له تأثير متوسط مثبط لإفراز الهستامين من الخلايا البلازمية.

أن الحبة السوداء توقف نمو الخلايا السرطانية المسببة للاستسقاء.

- أن لها تأثيراً مثبطاً للجراثيم موجبة الجرام ممثلة في جراثيم المكورة الذهبية، وله تأثير مباشر على عدد من الجراثيم سالبة الجرام، وعاضد لبعض المضادات الحيوية^(١).

هذه

خلاصتها:

أن الحبة السوداء ومركباتها تقوم بتنشيط جهاز المناعة وتقويته.

أن مادة النيجليلون مفيدة في علاج تشنج القصبات الهوائية حيث تخفف من ضيق التنفس، ونوبات الربو، وتفيد في علاج النزلة الشعبية، والمغص الكلوي.

أن تفل الحبة السوداء المتخلف عن عصرها يخفف الضغط الدموي.

أن الحبة السوداء تحتوي على مضادات حيوية توقف نمو الجراثيم^(٢).

١- مجلة الإعجاز العلمي مقال د. عبد الجواد الصاوي بعنوان: الحبة السوداء شفاء من كل داء، ٢٠-٢٢، العدد الرابع عشر، ذو القعدة، ١٤٢٣هـ.

٢- بتصرف من كتاب الشفاء بالحبة السوداء بين الإعجاز النبوي والطب الحديث. د. حسان شمسي باشا.

:

نتائج الأبحاث والتجارب التي ذكرت في مجلة الإعجاز العلمي^(١) خلاصتها:
وجود تثبيط واضح لمعدلات نمو الفيروس في الكبد والطحال بعد ثلاثة أيام من الإصابة، كما ازدادت معدلات الأجسام المضادة في المصل.
أن زيت الحبة السوداء له خاصية مضادة للفيروسات المضخمة، والتي قيست من خلال ازدياد وظيفة وعدد الخلايا اللمفاوية التائية المساعدة، وزيادة الخلايا البلعمية الكبيرة، وتنشيط عملية البلعمة، وزيادة إنتاج الإنترفيرون نوع (جاما) في المصل.
أن الزيوت الطيارة في بذور الحبة السوداء تعد عاملاً كيميائياً واقياً ضد السرطان في المعدة.

أن لزيت الحبة السوداء تأثيراً مضاداً لتدمير الخلايا الكبدية، ويمكن أن يكون سبب هذا التحسن راجعاً إلى التحسن في جهاز المناعة العائل، وإلى التأثير المضاد للأكسدة في هذا الزيت^(٢).

:

نتائج الأبحاث والتجارب التي ذكرت في كتاب الشفاء بالحبة السوداء خلاصتها:
أن للحبة السوداء فعلاً قوياً في إدرار الحليب عند الأمهات، إضافة إلى أنها تزيد من نمو ونضج أنسجة الثدي عند الفئران المرضعات.
أن لخلاصة الحبة السوداء فاعلية في زيادة إخراج حمض البول حيث إن ارتفاع حمض البول في دم الإنسان يؤدي إلى مرض النقرس .
أن للجزء الكربونيلي والثيوكينون وهما مركبان أساسيان في الحبة السوداء؛ لهما القدرة على زيادة طرح الصفراء من المرارة .
بعض خلاصات الحبة السوداء يساعد على التحلط وتثبيط نشاط الانحلال الفيبريني في الدم^(٣).

١- مجلة الإعجاز العلمي مقال د. عبد الجواد الصاوي بعنوان الحبة السوداء شفاء من كل داء، ٢٠-٢٢ العدد الرابع عشر، ذو القعدة، ١٤٢٣هـ.

٢- سواء أرنب أو فئران أو غيرها.

٣- كتاب الشفاء بالحبة السوداء بين الإعجاز النبوي والطب الحديث. د. حسان شمسي باشا.

أن الزيت الطيار الموجود في الحبة السوداء يحتوي على مادة النيجليلون، وهي مادة مضادة للهيستامين، ومن هنا فائدة الحبة السوداء في علاج الربو بتوسيع القصبات، وفي علاج ارتفاع الضغط الدموي بتوسيع الأوعية الدموية، وفي علاج بعض الأمراض الهضمية بإزالة التشنجات المعدية والمعوية.

تحتوي الحبة السوداء على مواد لها صفة المضادات توقف نمو الجراثيم ولا تسمح للجراثيم بالنمو في وسط غذائي توجد فيه الحبة السوداء، وهذا يعلل فوائد الحبة السوداء في معالجة الالتهابات والإنتانات.

استخلص من الحبة السوداء صبغة لها خواص مسكنة ومنومة لطيفة، ومن هنا يظهر فائدة الحبة السوداء كدواء مسكن خاصة في تسكين آلام الأسنان بالغرغرة، وفائدتها كمنوم خفيف يمكن استخدامه عند الأطفال^(١).

(٢)

أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أكثر من ١٤٠٠ عام عن الحبة السوداء فقال: " وأخبرنا في لفظ آخر بقوله صلى الله عليه وسلم: " وأوصانا بقوله صلى الله عليه وسلم: " (٣) (٤) (٥)

فأتت جميع هذه الألفاظ تثبت أن هنالك نسبة من الدواء والشفاء لأي مرض كان، ولأن صيغ الأحاديث كلها غير معرفة بالألف واللام وجاءت في سياق الإثبات بقوله (إلا

١- راجع: الإعجاز الطبي في السنة النبوية. د. كمال المويل، ١٢٤-١٢٥ وما بعدها.
٢- منها مثلاً كتاب الشفاء بالحبة السوداء، د. حسان شمسي باشا، ٢٤ وما بعدها. ومعجزات الغذاء. د. سمير عبد الحليم، ١٥١-١٥٤ الطبعة الأولى: ٢٠٠٤م دمشق. والطلب البديل بين التجربة والبرهان، محمد برهان المشاعلي، ١١٧-١١٨.
٣- تقدم تخريجه.
٤- تقدم تخريجه.
٥- تقدم تخريجه.

السام) فهي في الغالب نكرة تفيد العموم، فهل المقصود بالعموم الوارد في هذه الأحاديث العموم حسب الأصل أم أن المقصود به الخصوص؟ هذا ما سيتبين لنا، وبه يتضح وجه الإعجاز.

فمن هذا الخلاف يتبين أن بعض شراح الأحاديث الأوائل ما كانوا يتصورون أن الحبة السوداء قد يكون لها دور في العلاج لأي مرض كان، ولذلك خصصوا عموم هذه الأحاديث وظنوا أن العموم غير مراد، وإذا تأملنا في وصف جهاز المناعة في جسم الإنسان نجد أن الدراسات الحديثة أثبتت أنه النظام الوحيد والفريد الذي يقوم بحماية الجسم والدفاع عنه، والذي يقوم بإعداد السلاح المتخصص لكل داء.

فهو يقوم بالدفاع الأولي للجسم، ويمنع دخول الغازي، فإذا دخل فإنه يقوم بإبادته قبل تمكنه من احتلال الأنسجة وتكاثره فيها.

ويحتوي الجهاز المناعي على مواد تقوم بالالتصاق بالجراثيم الغازية والسموم، وتقوم بتحطيمها، وهنالك من الخلايا ما مهمته مقاومة الإصابة، وأخرى مهمتها تنشيط خلايا المناعة المختلفة لكي تقوم بمهمتها في الدفاع والهجوم، وخلايا أخرى مهمتها ابتلاع وهضم الكائنات الدقيقة والغريبة، وإذا لم تستطع هذه الخلايا ابتلاعها بسبب كبر حجمها فهنالك خلايا قاتله، فتقوم بمهاجمتها، وهذا كله يدخل في المناعة الطبيعية والفطرية.

والمناعة الأخرى تسمى المناعة النوعية والمكتسبة، وتتكون هذه المناعة من النسيج اللمفاوي، والخلايا اللمفاوية، وهي تقوم بإنتاج الأجسام المضادة المتخصصة للقضاء على كل ميكروب غازي للجسم حسب تركيبه ووصفه، فعند مهاجمة الميكروب للجسم تقوم بعض الخلايا بإنتاج خلايا خاصة لمهاجمة هذا الغازي، وخلايا أخرى مهمتها تنشيط خلايا المناعة، وتقوم الخلايا القاتلة بتنفيذ عملية القتل وتدمير وحدات العدو.

أما الخلايا الكابتة فمهمتها تبدأ عندما تدمر خلايا العدو أو الميكروب، فتقوم بإعطاء الإشارة إلى الخلايا الأخرى بإنهاء القتال فلا داعي للاستمرار في القتال أو إنتاج خلايا جديدة بعد أن تم تدمير الغازي.

فهذا الجهاز هو الوحيد الذي يقوم بجميع هذه الأدوار من حماية ودفاع وقتل للغازي وتجهيز خلايا جديدة لمحاربة هذا الغازي، فهو النظام الوحيد الذي يستخدم في علاج كل داء، وهذا هو عمله في الجسم البشري.

والحبة السوداء تقوم بتقوية هذا الجهاز بتقوية خلاياه المختلفة كما أثبتت الأبحاث والتجارب، فيمكننا بعد ذلك بعد أن عرفنا دورها في تقوية هذا الجهاز أن نطلق عليها أن فيها شفاء من كل داء.

ويقول الدكتور الصاوي: «وبما أنه لا توجد مادة مركبة، أو بسيطة على وجه الأرض تملك خاصية المقدرة على التخلص من مسببات جميع الأمراض وشفائها حتى الآن فيما نعلم وتعمل عمل جهاز المناعة، فعليه يمكننا القول بأنه الجهاز الوحيد الذي يملك تقديم شفاء من كل داء على وجه الحقيقة واليقين، بما يحويه من نظام المناعة النوعية أو المكتسبة التي تمتلك إنشاء الأجسام المضادة، وتكوين سلاح الخلايا القاتلة والمحللة المتخصصة لكل كائن مسبب للمرض.

وهذا الجهاز هو مثل بقية الأجهزة ينتابه العطب والمرض، فقد يعمل بكامل طاقته وكفاءته أو بأقل حسب صحته وصحة مكوناته، فما دام هذا الجهاز سليماً معافى في الجسم يستطيع القضاء على كل داء^(١)، وحيث إن هناك مواد خلقها الله سبحانه وتعالى تنشط هذا الجهاز وتقويه، أو تعالج وتصلح ما فيه، فيمكن أن توصف بما يوصف به هذا الجهاز نفسه.

وبما أنه قد ثبت أن الحبة السوداء تنشط المناعة النوعية أو المكتسبة برفعها نسبة الخلايا المساعدة، والخلايا الكابحة، وخلايا القاتل الطبيعي، لذلك يمكن أن نقرر أن في الحبة السوداء شفاء من كل داء؛ لإصلاحها وتقويتها لجهاز المناعة، وهو الجهاز الذي فيه شفاء من كل داء ويتعامل مع كل مسببات الأمراض، ويملك تقديم الشفاء الكامل أو بعضه لكل الأمراض، كما أن^٢ ورود كلمة " في الأحاديث بصيغة النكرة يدعم هذا الاستنتاج، حيث تتفاوت درجات الشفاء تبعاً لحالة جهاز المناعة ونوع المرض وأسبابه ومراحله^(٢).

١- يطلق الداء إما على المرض أو على مسبب المرض.

٢- مجلة الإعجاز العلمي، مقال بعنوان: الحبة السوداء شفاء من كل داء، د. عبد الجواد الصاوي، ٢٢-٢٣، العدد: الرابع عشر، ذي القعدة ١٤٢٣هـ.

وبعد أن تكلم الدكتور الصاوي عن الجهاز المناعي ودور الحبة السوداء في تقويته يتبين لنا وجه الإعجاز، حيث تظهر قوته عندما نعلم أن المتكلم به رجل أُمي في بيئة أمية صحراوية لم تعرف الحضارة، وذلك قبل ١٤٠٠ عام، وهذه الحقائق لهذه الأخبار كانت مخفية ومجهولة عند الأطباء وغيرهم، إلى أن جاءت الأبحاث والتجارب في هذا العقد الأخير من الزمن، فأظهرت المقصود من قول الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن العموم الوارد في الحديث حقيقي، ولذا يقول الدكتور الصاوي: «وبهذا يفسر العموم الوارد في الحديث... وهكذا تجلت الحقيقة العلمية في هذه الأحاديث الشريفة، والتي ما كان لأحد من البشر أن يدركها؛ فضلاً عن أن يقولها ويحدث الناس بها منذ أربعة عشر قرناً إلا نبي مرسل من الله، يتلقى معلوماته من العليم بأسرار خلقه؛ وصدق الله القائل:

[النجم: ٤، ٣]»^(١).

وكما علمنا دور الحبة السوداء في تقوية جهاز المناعة، والقضاء على الكثير من الجراثيم فقد ثبت أيضاً فاعليتها في علاج كثير من الأمراض كالربو، والمغص الكلوي، وكثير من أمراض الكبد، وتساعد في علاج الأمراض التحسسية، وتقي من أمراض القلب، والشرابين، وتثبط خلايا سرطان القولون، والثدي.

هذا ما أثبتته لنا الأبحاث، وتتطور العلوم يوماً بعد يوم ستظهر لنا الحقائق أكثر؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى.

١- مجلة الإعجاز العلمي، مقال بعنوان: الحبة السوداء شفاء من كل داء، د. عبد الجواد الصاوي، ٢٢-٢٣، العدد: الرابع عشر، ذي القعدة ١٤٢٣ هـ.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله الصادق
الأمين وعلى وآله، وبعد
الإعجاز العلمي يبين سبق القرآن والسنة في ذكر الحقائق الكونية، وهذا مصداقاً لقوله
تعالى:

[فصلت: ٥٣] وإثبات العلوم الكونية الحديثة لما قرره القرآن، فإن القرآن والسنة
يتضمنان الكشف عن السنن التي تحكم هذه المخلوقات، قال تعالى:

[آل

عمران: ١٣٧]، وقال تعالى:

[العنكبوت: ٢٠] فالنظر والتأمل

والبحث لهذه السنن يؤدي إلى اكتشافها وبالتالي إلى الاستفادة منها في شتى المجالات
الاقتصادية والسياسية والطبية وغير ذلك والأمثلة توضح ذلك.

:

عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "

"(١)

وهذا ما أيدته الأبحاث العلمية في عصرنا الحاضر،
الأبحاث العلمية أيدت هذه الحقائق عن طريق البعثات الجيولوجية، والتصوير الفضائي،
والمكتشفات الأثرية في شبه الجزيرة العربية^(٢)

^١ - صحيح مسلم، ٧٠١/٢.

^٢ - للاطلاع على التفاصيل انظر بحث المهندس جمال عبد المنعم الكومي بعنوان عودة جزيرة العرب مروجاً وأثراً
على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة على هذا الرابط،

التفسير الأقرب إلى المفهوم من كلامه صلى الله عليه وسلم أن هذا سيحدث كنتيجة لتغير شامل في مناخ الكرة الأرضية، ينتج عنه تغير مناطق المطر بحيث تدخل صحراء شبه الجزيرة العربية فيها، مما يؤدي إلى جريان الأنهار في أوديتها الجافة.

وقد أجرى الشيخ عبد المجيد الزنداني مقابلة مع البروفسيور الفريد كرونير من أشهر علماء الجيولوجيا في العالم الذي حضر مؤتمراً جيولوجياً في كلية علوم الأرض في جامعة الملك عبد العزيز حول عودة الجزيرة العربية مروجاً وأنهاراً، وهذا عرض لها:

: هل عندكم حقائق أن أرض العرب كانت بساتين وأنهاراً - هذه

الصحراء التي ترونها كانت قبل ذلك بساتين وحدائق؟

: نعم هذه مسألة معروفة عندنا وحقيقة من الحقائق العلمية وعلماء الجيولوجيا يعرفونها؛ لأنك إذا حفرت في أي منطقة تجد الآثار التي تدلك على أن هذه الأرض كانت مروجاً وأنهاراً، والأدلة كثيرة .. فقط لعلمكم منها قرية الفاو التي اكتشفت تحت رمال الربع الخالي .. وهناك أدلة كثيرة في هذا.

: وهل عندك دليل على أن بلاد العرب ستعود مروجاً وأنهاراً؟

: هذه مسألة حقيقية ثابتة نعرفها نحن الجيولوجيون ونقيسها ونحسبها، ونستطيع أن نقول بالتقريب خلال هذا القرن حتى يكون ذلك وهي مسألة ليست عنكم ببعيدة وهي قريبة.

: لماذا؟

: لأننا درسنا تاريخ الأرض في الماضي فوجدنا أنها تمر بأحقاب متعددة من ضمن

هذه الأحقاب المتعددة حقبة تسمى العصور الجليدية.

: وما معنى العصر الجليدي؟

: معناه: أن كمية من ماء البحر تتحول إلى ثلج وتتجمع في القطب المتجمد

الشمالي ثم تزحف نحو الجنوب وعندما تزحف نحو الجنوب تغطي ما تحتها وتغير الطقس في

الأرض، ومن ضمن تغيير الطقس تغيير يحدث في بلاد العرب، فيكون الطقس بارداً ،
وتكون بلاد العرب من أكثر بلاد العالم أمطاراً وأنهاراً.

: - وكنت أربط بين السيول والأمطار في منطقة أبها وبين تلك التي تحدث في شمال

أوروبا وأنا أتأمل فيما يقول - قلت له: تأكد لنا من هذا!

: نعم هذه حقيقة لا مفر منها!

: من أخبر محمداً صلى الله عليه وسلم بذلك هذا كله مذكور في حديث: "لَا تَقُومُ

السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا"^(١)! من قال لمحمد صلى الله عليه وسلم إن

أرض العرب كانت مروجاً وأنهاراً؟!

: فكر وقال: الرومان.

: ومن أخبره بأن أرض العرب ستعود مروجاً وأنهاراً؟!

: فكر وفكر وقال: فيه فوق!! -أي: أن الخبر من مصدر علوي-.

: اكتب، فكتب بخطه: لقد أدهشتني الحقائق العلمية التي رأيتها في القرآن والسنة ولم

نتمكن من التدليل عليها إلا في الآونة الأخيرة بالطرق العلمية الحديثة، وهذا يدل على أن

النبي محمداً صلى الله عليه وسلم لم يصل إلى هذا العلم إلا بوحي علوي^(٢).

ويتوقع (هال ماكلور) عودة البحيرات إلى صحراء شبه الجزيرة العربية، فقد لاحظ في تموز

(يوليو) ١٩٧٧م سقوط أمطار شبه موسمية على امتداد ثلاثة أسابيع في شمال الربع الخالي،

ولم ينتج عن ذلك تشكل بحيرات جديدة، ولكن على حد قوله: «إذا تكرر هذا الأمر

وبقوة كافية لتكوين بحيرات فقد يكون ذلك مؤشراً على عودة الأمطار الموسمية إلى الربع

الخالي ومعها انقلاب في المناخ^(٣).

^١ - صحيح مسلم، ٧٠٠/٢، رقم ١٥٧٨.

^٢ - إنه الحق للشيخ عبد المجيد عزيز الزنداني: ١٥، ١٦.

^٣ - للاطلاع على التفاصيل أنظر بحث المهندس جمال عبد المنعم الكومي بعنوان عودة جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً

على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة على هذا،

الرابط، [http://www.nooran.org/0XO\(5\).htm](http://www.nooran.org/0XO(5).htm) وهذا البحث نقلاً عن آفاق علمية، عدد

(٢٤)، ص: ١٥.

فإذا كان هذا ما أيده الأبحاث العلمية فنحتاج إلى دراسات للبساتين والأنهار القديمة
المندرسمة من جديد دراسة جيولوجية تعين المخططين لل عمران، وحتى يتم الاستفادة من
الأراضي الزراعية في المستقبل والتي ستكون بجوار هذه الأنهار المستقبلية.

يقول الله تبارك وتعالى:

*

*

*

[يوسف ٤٥-٤٩].

جاء في تفسير قوله تعالى: أي:
«مهما استغللتم في هذه السبع السنين الخصب فاخزنوه في سنبله، ليكون أبقى له وأبعد
عن إسراع الفساد إليه»^(١)

«إنما أمرهم بترك ما حصدوه

من الحنطة في سنبله لئلا يفسد ويقع في السوس وذلك أبقى له على طول الزمان»^(٢).
«لأن إبقاء الحب في سنبله يوجب بقاءها على الصلاح»^(٣).

وهكذا قال أكثر المفسرين في شرحهم لهذه الآية، ويقول الشيخ الشعراوي في تفسيره لهذه
الآية: «هذه عملية اقتصادية تحتاج إلى تخطيط وتطبيق ومتابعة وحسن تدبير وحزم وعلم:
﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْم﴾» [يوسف: ٥٥] وهذا القول تأكيد لثقة
يوسف أن القادم في هذا البلد يحتاج لحكمة إدارة، لا تبعثر ما سوف يأتي في سنين
الخصب؛ لتضمن الاطمئنان في سنين الشدة، وتلك مهمة تتطلب الحفظ والعلم»^(٤).

^١ - تفسير ابن كثير، ٣٩٣/٤.

^٢ - تفسير الخازن، ٢٨٧/٣.

^٣ - تفسير الرازي، ٢٥٢٦/١.

^٤ - تفسير الشعراوي، ١٦٣٨.

١- أن أفضل وسيلة لتخزين الحبوب هو بقاؤها في السنابل بحيث تحافظ على حالتها وحتى لا يطرأ عليها التغيير والفساد.

٢- أن الزراعة بالحبوب التي بقيت في سنبلتها بعد مدة إذا تم الزراعة بهذه الحبوب فإن الثمرة لها أفضل من غيرها التي لم تبقى في السنبله في نفس المدة.^(١)

فمن هذه الآيه الكريمة يتم الاستفادة في حفظ الحبوب حتى لا يتطرق إليها الفساد، وفي زراعتها، وعلى الدول الإسلامية أن تسعى بكل الوسائل لضمان الاكتفاء من الغذاء والسعي الجاد لمحاولة علاج كل المشاكل الاقتصادية من وحي القرآن والسنة، وحتى لا تقع الشعوب الإسلامية ضحية الارتهان للخارج بسبب المشاكل المتنوعة الاقتصادية وغيرها.

يمكن تركيز الدراسة على المادة الخضراء في النبات فهي التي تحول طاقة الشمس إلى طاقة كيميائية حرارية ينتج عنها تخلق الحبوب والثمار بما فيها من مواد دهنية أو كربوهيدراتية أو بروتينية يمكن الاستفادة منها في استخراج الطاقة الحرارية كما قال تعالى:

* [الأعلى: ٤-٥].

جاء في تفسير هذه الآية: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾: «يعني جعل المرعى يابساً بعد خضرته وقال القتيبي: غثاء يعني يابساً، أحوى: يعني أسود من قدمه واحتراقه»^(٢).

وجاء في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ [الأعلى: ٥، ٤]. «المرعى هو النبات الذي ترعاه البهائم، والغثاء هو النبات اليابس

^١ - يمكن الاطلاع لبحث الأستاذ الدكتور عبد المجيد بلعابد في موقع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة على هذا الرابط:

http://www.wa.net/firas/arabic/?page=show_det&id=٥٤&select_.page=٧

^٢ - تفسير السمرقندي، ٣/٥٤٩.

المختطم، وأحوى معناه أسود وهو صفة لغناء، والمعنى أن الله أخرج المرعى أخضر فجعله بعد
خضرته غناء أسوداً؛ لأن الغناء إذا قدم تعفن واسود»^(١)

: إن هذا يشير إلى الفحم الحجري والبتروول كما يشير إلى مخلفات
الحيوانات وهذه مصادر الطاقة اليوم فضلات الحيوانات مصدر جديد، إن دراسة هذه
العلاقة بين الشمس والنبات عن طريق الكلوروفيل قد تسوق إلى اكتشاف طرق جديدة
لتسريع إنتاج الطاقة مباشرة من الشمس كما يحدث الآن في الصفائح التي تحملها الأقمار
الصناعية والتي تقوم بتشغيل تلك الأقمار الصناعية مباشرة من طاقة الشمس^(٢).

فمن حديث عودة بلاد العرب مروجاً وأنهاراً الذي سبق ذكره والذي توافقت معه الأبحاث
العلمية التي أثبتت أن الجزيرة العربية كانت في الماضي مروجاً وأنهاراً وأنها ستعود مروجاً
وأنهاراً فيمكن أن نستفيد من هذا الحديث بأن تقوم دراسة للمناطق التي ستتضرر بالعصر
الجليدي الجديد، ودراسة العلاقات المحتملة بيننا وبينها الأمر الذي قد يؤدي إلى غزو بلادنا
لتكون وطناً بديلاً لمن يفقدون أوطانهم وما يوجب هذا من تنبه للقيادات السياسية
والعسكرية في أخذ الترتيبات اللازمة لحماية البلاد من هذه الأخطار حيث يوجد حوادث
مشابهة.

()

اكتشفت القارة الأمريكية بواسطة الرحالة كولومبس وبعد الاكتشاف أتى المستعمرون
لاحتلال هذه الأرض وإخراج سكانها الأصليين منها بشتى السبل وهذا قانون الدول
العظمى التي لا تحتكم إلى شرع أو دين وهذا توضيح عن هذه القارة المكتشفة وعن
سكانها الأصليين:

^١ - التسهيل لعلوم التنزيل، ٤/١٩٣.

^٢ - انظر موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية على هذا الرابط بعنوان الماء والبتروول:

http://www.wa.net/firas/arabic/?page=show_det&id=٣٠٥&select_page=٧

وصل الهنود الأوائل إلى القارة المجهولة المغطاة بطبقات كثيفة من الثلج فعاشوا فيها بأمان إلى أن بدأت حرب الاستيطان الأوروبي ابتداءً من سواحلها الشرقية باتجاه عمقها الغربي فنشأت القلاع المزودة بسلاح متطور توظفة إلى احتلال كامل القارة الجديدة.

عقدت المعاهدات القسرية بين الطرفين بعد أن استقلت المستعمرات الأمريكية عن التاج البريطاني، وتعهدت القبائل الهندية بالحفاظ على السلم مع المهاجرين والاعتراف بالتشريعات التي تصدرها الحكومة وتنازلت كل قبيلة عن الكثير من أراضيها وفي المقابل تعهدت الحكومة الفيدرالية بدفع المال إلى الهنود وحمائتهم.

اخترقت هذه المعاهدات واستولى المهاجرون على أراض الهنود والتي تبنت حمايتها من قبل الدستور مما أدى إلى نشوب حرب شرسة بينهما وفي سنة ١٨٣٠م، أصدرت الحكومة قانوناً بإزاحة الهنود إلى غربي الولايات وإعطاء أراضيهم إلى المهاجرين الجدد.

:

خلال عشر سنوات قامت الحكومة الأمريكية بالتهجير القسري لأكثر من ٧٠,٠٠٠ هندي عبر نهر ميسوري فمات الكثير منهم عبر الطريق الطويل نحو الغرب، وعرفت برحلة الدموع وبعدها قام المستعمرون بالاستيلاء على أراضي الهنود حتى وصلوا المحيط الهادي. في سنة ١٨٤٨ م اكتشف الذهب في كاليفورنيا مما شجع الكثير من المغامرين إلى الرحيل إليها وعند وصولهم راحوا يمعنون في قتل الهنود الحمر، وقاتل الهنود بشجاعة وهزموا في النهاية وحجزوا في أماكن حجز مفردة، فكانوا فقراء معدمين في حالة صحية سيئة، واضمحل عددهم وانخفض من مليون نسمة إلى ٣٥٠,٠٠٠ نسمة.

الإرهاب الأمريكي ضد الهنود الحمر: إذا أردت أن تتصور حالة الإرهاب الأمريكي على حقيقته فلتقرأ كتاب (العملاق) الذي صدر في سنة ١٦٦٤ وكتبه (بوردي جاك) الذي تضمن نصائح إلى القيادات الأنجلوساكسونية التي تزعمت المهاجرين البروتستانت إلى القارة الأمريكية وجاء فيه:

١- بأن إبادة الهنود الحمر أرخص من تنصيرهم أو تمدينهم لأنهم همج، برايرة، عراة.

٢- بأن الانتصار عليهم سهل ووسائل تحقيق النصر القوة والمفاجأة والتجويع، بحرق المحاصيل بتدمير القوارب والبيوت، بتمزيق شباك الصيد وبالمطاردة بالجياذ السريعة والكلاب المدربة التي تنهش أجسادهم العارية.

في عام ١٧٣٠ م أصدرت الجمعية التشريعية (البرلمان البروتستنتي) تقديم مكافأة مقدارها: أ- ٤٠ جنيها مقابل كل فروة مسلوخة من رأس هندي أحمر.

ب- ٤٠ جنيها مقابل أسر هندي أحمر.

ت- بعد خمسة عشر سنة ارتفعت المكافأة إلى ١٠٠ جنيه وتلت صدور القرارات الخاصة بتسعير قتل الهنود الحمر .

في عام ١٧٦٣ أمر القائد الأمريكي البريطاني الأصل (جفري أهرست) برمي البطانيات المستخدمة في مصحات علاج الجدري في أماكن تجمع الهنود الحمر لنقل المرض إليهم ونشر الوباء بينهم وبعد عقود قليلة تم فناؤهم وعزل ما تبقى منهم في مجتمعات نائية^(١) هذا مثال فلنحذر ولنعد العدة ولنكن أقوىاء حتى نحمي أنفسنا وبلادنا من كيد المعتدين.

وهذا في العلاجات المختلفة لكثير من الأمراض أو الوقاية من الأمراض المختلفة.

ويتم عن طريق الاستفادة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في هذا المجال

:

قال الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحبة السوداء: "ما من داء إلا في الحبة السوداء منه شفاء، إلا السام"^(٢).

وأثبتت الأبحاث العلمية أن الحبة السوداء لها دور في تقوية جهاز المناعة وتدخل في علاج أنواع كثيرة^(١).

^١ - موقع الجمعية السورية على هذا الرابط :

http://www.sprasy.com/website/index.php?module=٢&category_id=٨٩

+ مقال للدكتور فهمي هويدي على الرابط <http://fahmyhoweidy.blogspot.com>

٢- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب التداوي بالحبة السوداء، ٤ / ١٧٣٥ رقم الحديث: ٢٢١٥.

فما جاءنا عن طريق الرسول صلى الله عليه وسلم يجب أن نؤمن به ونصدق به؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى وما جاءنا عن طريقه فهو بعلم الله ولذلك فالأولى بالمختصين والباحثين والحكومات أن تبحث في كل ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأن تقيم المختبرات لذلك لاستخراج الفوائد والعلاجات للأمراض المختلفة وحتى نري البشرية ونظهر للعالم صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ونستفيد بهذه العلاجات من ناحية طبية واقتصادية يعود نفعها على البلاد الإسلامية.

^١ -أنظر الطب البديل في صحيح البخاري ومسلم في ضوء الأبحاث العلمية المطلب الحبة السوداء للباحث عبد الكريم علي الفهدي.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله الصادق
الأمين القائل صلى الله عليه وسلم: «
(١)»

والقائل صلى الله عليه وسلم: «

(٢)»

وبعد فالإعجاز العلمي لا تقتصر أهمية على المسلمين بل يتعدى ذلك إلى غير المسلمين؛
لأن الإعجاز العلمي هو أهم وأول وسيلة يدعى عن طريقها غير المسلمين في عصرنا
خصوصاً أهل العلوم الكونية؛ للأسباب التالية:

استخدم العلماء العرب المسلمون هذا المنهج في الكيمياء والفيزياء والفلك والطب،
وبصورة ما في الرياضيات، وقد تنبهوا إلى أنّ مستخدمه يجب أن يكون مؤهلاً على الصعيد
النظري، فهذه المرحلة ضرورية تمثل شرطاً ضرورياً، وفي ضوءها يتم تحديد المشكلة، ثم تأتي
مرحلة الملاحظة المباشرة للظاهرة، وجمع المعلومات عنها بواسطة الحواس، واستخدام الآلات
والأدوات المختلفة.

ثم يقوم العقل استناداً إلى هذه المادة الخام بتكوين فرضيات لحل المشكلة، ويجب ألاّ
يحكم على هذا الفرض بالصدق أو الكذب قبل امتحانه، ومن هنا تأتي التجربة للحسم في
صدق هذا الفرض أو كذبه، وما يثبت بالتجربة فهو صادق، ويصبح بمرتبة القاعدة أو المبدأ
أو القانون العام وقد طالبوا بتكرار التجارب حتى يثبت الأمر، وقد صرّحوا بأنّ هناك إمكانية

È	K	Đ	Á	ÁÁ	ÁÉÁ	
È	K	Á	Đ	Á	ÁÁ	ÁÉÁ

بصدق الرسالة قال تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ
وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]

فهناك بينات تناسب العرب الفصحاء البلغاء أكثر من غيرها، وهنالك بينات تناسب أهل الأديان في الزمن السابق، وبينات كثيرة منها في عصرنا الحاضر الأبحاث العلمية بما تحويه من أخبار وأسرار والتي تناسب أصحاب الأبحاث والمدارس والجامعات، فهي تناسب العصور الماضية والحاضرة العربية وغيرها.

إذا سألنا اليهود: كيف آمنتم برسولكم موسى عليه السلام^(١)؟

فإن قالوا: بسبب معجزاته، أو أخلاقه، أو تشريعه، أو تأييد الله له ونصرته، أو استحابة دعائه، أو عدم رغبته في المصلحة الذاتية، أو غير ذلك من الأدلة.

قلنا: كل ما ذكرتموه هو موجود في النبي صلى الله عليه وسلم.

وكذلك النصرارى نسألهم هل هم يؤمنون بنبوة موسى عليه السلام؟ فإن الجواب سيكون: نعم. قلنا: كيف استدللتم على نبوته؟ فإن قالوا: لأنه قد ذكره لنا عيسى.

قلنا: هل هناك دليل آخر؟

إن قالوا: لا يوجد دليل آخر على نبوة موسى عليه السلام، قلنا: إذن أنتم صَحَّحْتُمْ مذهب مَنْ كفر بموسى عليه السلام من قومه؛ حيث إن موسى عليه السلام لم يأت بدليل على رسالته، ولم ينزل عيسى عليه السلام في ذلك الوقت، وأثبتتم لمن آمن به أنه آمن بغير بينة ولا علم ولا دليل، وأن رسالة موسى علفت عن التصحيح قرونا متطاولة حتى بعث الله عيسى عليه السلام.

فإن قالوا: نعم، هناك أدلة أخرى على رسالة موسى عليه السلام.

قلنا: كل دليل استدلتتم به على نبوة موسى عليه السلام هو صالح لأن يكون دليلاً للإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم.

وبعد هذا فلا حجة لرجل لا يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولكن صدق الله إذ يقول: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨] يعني ينظرون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ودلائل صدقه، ثم لا يبصرون كأنهم عميان.

فإذا ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم صادق، فإنه أخبرنا أن هذا القرآن كلام الله عز وجل منزل من عنده سبحانه حقاً، فحصل بهذا المراد، وهو إثبات أن القرآن من الله تعالى.

فأول آية نزلت على نبينا صلى الله عليه وسلم كانت اقرأ، وتعلم العلم وطلبه طريق من طرق الجنة، وامتن الله على آدم بتعليمه، وأمرنا بالنظر والتأمل في هذا الكون الفسيح قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠] وقال ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]

/ أنه طريق للرد العملي المقترن بالبرهان الساطع على أن الدين الإسلامي هو دين العلم حقاً؛ حيث لم يستطع أحد أن يثبت وجود تعارض أي دلالة كونية واردة في القرآن الكريم قطعية مع ما استقر من الحقائق العلمية اليوم، بل على العكس كم من القضايا العلمية التي صححها القرآن لعلماء العلم التجريبي.

/ المؤتمرات الدولية للإعجاز العلمي دليل على سبق القرآن الكريم والسنة النبوية، ومشاركة غير المسلمين في المؤتمرات تبعث الثقة بالبحوث المقدمة، وتجذب أبناء الطبقة المثقفة وعمامة المسلمين المختصين بها.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد: فهذه نماذج مختلفة تبين السبق القرآني والنبوي للعلوم المختلفة فبعد التجارب والأبحاث العلمية أساتذة هذه الأبحاث وغيرهم يندهشون عندما يطلعوا أن ما تم اكتشافه في العصر الحاضر بوسائل البحث العلمي المختلفة والمتطورة قد تكلم عنه القرآن الكريم أو السنة النبوية بتوضيح دقيق أو بإشارة علمية فمن أخبر محمد بهذه الحقائق العلمية في الطب والجيولوجيا والفلك وغير ذلك من العلوم . هل كان يمتلك أدوات بحث متطورة في الطب كالميكروسكوبات وفي البحار كالغوصات وفي الفلك كالمناظير الضخمة، كل قادة العلوم يقولون إن الأبحاث وأدواتها العلمية لم تتطور إلا في القرنين الأخيرين فقط إذا من أخبر محمد بهذه الحقائق الذي جاء بهذه الحقائق العلمية المختلفة يخبرنا أنه رسول من عند الله ومن الأدلة على ذلك هذا القرآن وفيه علم الله قال تعالى:

[النساء: ١٦٦] أي يشهد لك بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذي فيه علم الله.

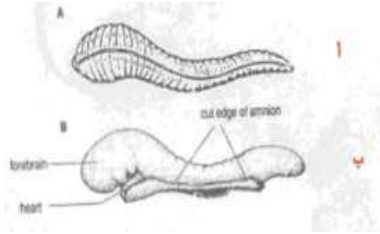
وقادة وأساتذة العلوم المختلفة بعد عدد من المناظرات والبحث والتدقيق تجدهم يعترفون بالسبق القرآني وتجدهم كثير منهم في النهاية يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وفي هذا دعوة لأساتذة العلوم المختلفة ومن هو في مستواهم أو أدنى منهم أن يقتدوا بهؤلاء في قبول الحق قال تعالى:

[الأحقاف: ١٠]

فهذه بعض النماذج المختلفة:



من أكابر علماء التشريح والأجنة في العالم، في عام ١٩٨٤ أستلم الجائزة الأكثر بروزاً قدمت في حفل علم التشريح في كندا، جي. سي. بي. جائزة جرات من الجمعية الكندية لاختصاصيي التشريح. وجه العديد من الجمعيات الدولية، مثل الجمعية الكندية والأمريكية لاختصاصيي التشريح ومجلس إتحاد العلوم الحيوية أستاذ علم التشريح والأجنة في جامعة تورنتو^(١) بكندا مر خلال حياته العلمية عبر جامعات عديدة منها جامعة توينابك في الغرب الكندي حيث كان هناك لمدة ١١ سنة ورأس العديد من الجمعيات الدولية؛ مثل جمعية علماء التشريح والأجنة في كندا وأمريكا، ومجلس اتحاد العلوم الحيوية. كما انتخب عضواً في الجمعية الطبية الملكية بكندا، والأكاديمية الدولية لعلوم الخلايا، والاتحاد الأمريكي لأطباء التشريح، وعضواً في اتحاد الأمريكتين في التشريح أيضاً وقد عمل أيضاً في جامعة الملك عبدالعزيز في جدة، وقد ألف العديد من الكتب في مجال التشريح الأكلينيكي وعلم الأجنة، وله ثمانية كتب تعتبر مرجعاً لطلاب كليات الطب وقد ترجمت إلى ست لغات: الإيطالية، والألمانية، والبرتغالية، والإسبانية، واليونانية، والصينية، وهو مؤلف كتاب (The Developing Human) رسمان



يوضحان أوجه التشابه بين العلقة (الدودة) والجنين البشري. (أ) رسم لدودة (uman). (أطوار خلق الإنسان) الذي ترجم لثمان لغات هي: الروسية، واليابانية، والألمانية، والصينية، والإيطالية، والبرتغالية، والإنجليزية، واليوغوسلافية.

^١ - جامعة تورنتو University of Toronto هي جامعة توجد في تورنتو ب كندا و يدرس بها أكثر من ٧٠٠٠٠ طالب.

طلب^(١) منه الشيخ عبد المجيد عزيز الزنداني أن يكون مستشاراً علمياً لإبداء رأيه من الجانب العلمي حول بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بمجال تخصصه. هذا الأستاذ مؤلف لكتاب (The Developing Human) (أطوار خلق الإنسان). وعندما طلبنا منه أن يبدي رأيه فيما سمع من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية اندهش وأعلن دهشته هذه، كيف يكون لمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ١٤٠٠ عام أن يصف الجنين وأطواره هذا الوصف الدقيق الذي لم يتمكن العلماء من معرفته إلا منذ ثلاثين عاماً؟ وسرعان ما تحولت دهشته إلى إعجاب بهذا البيان وهذا الهدي فتبنى هذه الآراء في المحامع العلمية وقدم محاضرة بعنوان "مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة." وقد قدمه الدكتور عبد الله نصيف مدير جامعة الملك عبد العزيز سابقاً والأمين العام لرابطة العالم الإسلامي حالياً لإلقاء محاضرتيه بقوله: محاضرنا اليوم هو الأستاذ كيث مور أستاذ علم التشريح والأجنة في جامعة تورنتو بكندا.... وتحدث الدكتور مور فقال: لقد أسعدني جداً أن أشارك في توضيح هذه الآيات والأحاديث التي تتحدث عن الخلق في القرآن الكريم والحديث الشريف، ويتضح لي أن هذه الأدلة حتماً جاءت لمحمد من عند الله لأن كل هذه المعلومات لم تكتشف إلا حديثاً وبعد قرون عدة وهذا يثبت لي أن محمداً رسول الله.

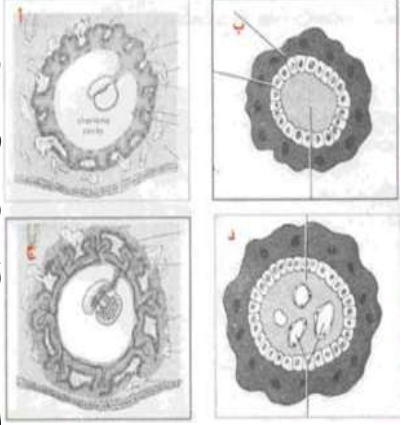
وقد عقب الشيخ الزنداني بقوله: تأمل ما قاله هذا الأستاذ الكبير من مشاهير علماء العالم في الأجنة عندما درس الآيات المتعلقة بمجال اختصاصه في هذا الكتاب تأمل ماذا قال: إنه لا بد أن يكون محمد رسولاً من عند الله. وعندما شاهد البروفيسور كيث مور العلقه التي توجد في البرك وقارن بينها وبين الجنين في مرحلة العلقه وجد تشابهاً كبيراً بين الاثنين ثم قال بعد ذلك: إن الجنين في مرحلة العلقه يشبه هذه العلقه تماماً. وتبنى هذه القضية وجاء بعد ذلك بصورة لهذه العلقه التي تعيش في البرك ووضعها بجوار صورة أخرى للجنين وجمع بينهما في شكل توضيحي وعرضه على الأطباء في عدد من المؤتمرات. وبين البروفيسور كيث مور أيضاً أن الجنين في مرحلة العلقه يكون

معلقاً في رحم أمه. وكذلك فإن العلقه في لغة العرب تعني الدم المتجمد. وقد ذكر البروفيسور كيث مور أن الجنين في مرحلة العلقه تكون الدماء فيه محبوسة في العروق

^١ - انظر كتاب إنه الحق

الدموية قبل أن تتم الدورة بين الجنين وبين المشيمة فيظهر شكل الجنين كشكل الدم المتجمد. وهكذا تشمل كلمة (العلقة) جميع أوصاف الجنين فمن أخبر محمداً صلى الله عليه وسلم بهذا؟.

الجنين في مرحلة العلقه يكون معلقاً في تجويف المشيمة بواسطة ساق، ويكون محاطاً بسائل مخاطي وبكيس المح. وذلك يتحقق مع المعنى الواردة في كلمة (علقه) في النص. (أ) مقطع سهمي للجنين في اليوم ١٦ تقريباً. (ب) مقطع لزغابة مشيمية ثانوية. (ج) مقطع لجنين منغرس في اليوم ٢١ تقريباً. (د) مقطع لزغابة مشيمية ثلاثية. ويكون دم الجنين في الأوعية الشعرية منفصلاً عن دم الأم الذي يحيط



بالزغ، وبالغشاء المسمي الذي يتكون من بطانة الأوعية الشعرية والطبقة المتوسطة، والجدعة الاغتذائية الخلوية.

ثم تحدث البروفيسور كيث مور عن المضغة. وجاء بقطعة من الطين الصلصال ومضغها بفمه ثم جاء بصورة من جنين وقارن بين الاثنين وقال: إن الجنين يشبه المضغة . صورة لجنين عمره ٢٨ يوماً خلال مرحلة المضغة ويمتاز الجنين بانحناء على شكل يماثل انحناء مادة يتم لوكلها بقوة .



ولقد نشرت بعض الصحف الكندية كثيراً من تصريحات البروفيسور كيث مور. وأخيراً قدم كيث مور ثلاث حلقات في التلفزيون الكندي عن التوافق بين ما ذكره القرآن قبل ١٤٠٠ عام وما كشف عنه العلم في هذا الزمان. وعلى أثر ذلك وجه له هذا السؤال: يا أستاذ مور معنى ذلك أنك تؤمن بأن القرآن كلام الله؟ فأجاب: لم أجد صعوبة في قبول هذا. فقليل له: كيف تؤمن بمحمد وأنت تؤمن بالمسيح؟ فأجاب: أعتقد أنهما من مدرسة واحدة. وهكذا يمكن لعلماء العالم في عصرنا أن يعلموا أن هذا الكتاب قد نزل بعلم الله، كما قال تعالى:

[النساء: ١٦٦]. فيعلمون إذاً أن محمداً رسول الله وفي مؤتمر الإعجاز العلمي الأول للقرآن الكريم والسنة المطهرة والذي عقد في القاهرة عام ١٩٨٦ وقف الأستاذ الدكتور، كيث مور (Keith Moore) في

محاضرته قائلاً: «إنني أشهد بإعجاز الله في خلق كل طور من أطوار القرآن الكريم، ولست أعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم أو أي شخص آخر يستطيع معرفة ما يحدث في تطور الجنين لأن هذه التطورات لم تكتشف إلا في الجزء الأخير من القرن العشرين، وأريد أن أؤكد على أن كل شيء قرأته في القرآن الكريم عن نشأة الجنين وتطوره في داخل الرحم ينطبق على كل ما أعرفه كعالم من علماء الأجنة البارزين.

علماء أن مراحل خلق الإنسان التي ذكرها القرآن هي سبع مراحل. قال تعالى :

[المؤمنون ١٢-١٤]



وقد أثبت علم الأجنة هذه المراحل وصحتها وتطابقها مع المراحل المذكورة في القرآن. وهذه المراحل هي: ١- أصل الإنسان (سلالة من طين) ٢- النطفة ٣- العلقة ٤- المضغة ٥- العظام ٦- الكساء باللحم ٧- النشأة.

وقد اعتبر المؤتمر الخامس للإعجاز العلمي في القرآن والسنة والذي عقد في موسكو (أيلول ١٩٩٥) هذا التقسيم القرآني لمراحل خلق الجنين وتطوره صحيحاً ودقيقاً وأوصى في مقرراته على اعتماده كتصنيف علمي للتدريس علماً أن الأستاذ الدكتور كيث مور Keith Moore وهو من أشهر علماء التشريح وعلم الأجنة في العالم (والذي كان أحد الباحثين المشاركين في المؤتمر المذكور) ، ألف كتاباً يعد من أهم المراجع الطبية في هذا الاختصاص (مراحل خلق الإنسان _ علم الأجنة السريري) وضمنه ذكر هذه المراحل المذكورة في القرآن، وربط في كل فصل من فصول الكتاب التي تتكلم عن تطور خلق الجنين وبين الحقائق العلمية

والآيات والأحاديث المتعلقة بها وشرحها وعلق عليها بالتعاون مع الشيخ الزنداني

[سبأ: ٦]



التوصيف الظاهري والداخلي لأطوار التخلق الإنساني في
القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه أجمعين وبعد:

فهذا هو البروفيسور مارشال جونسون رئيس قسم التشريح ومدير معهد دانيال بجامعة
توماس جيفرسون بفلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية، لقد التقينا به في المؤتمر الطبي
السعودي الثامن وقد خصصت لنا لجنة تبحث في موضوع الإعجاز
العلمي في القرآن والسنة أول ما التقينا به في هذه اللجنة.
بدأ بالسؤال فقال: ما هو موضوع لجتنا هذه؟ فقلنا له: موضوعنا هو
دراسة العلاقة بين ما ذكر في القرآن والسنة قبل ١٤٠٠ عام وما ذكرته
العلوم الحديثة فقال: مثل ماذا؟ قلنا: مثلاً ذكر العلم أن الإنسان يخلق



^١ - انظر : إنه الحق الشيخ الدكتور :عبد المجيد عزيز الزنداني .

في أطوار وذكر القرآن الكريم هذه الأطوار قبل ١٤٠٠ عام. كان جالساً فوقف يصيح لا.
لا. لا.

اجلس يا دكتور قال: أجلس ما هذا الكلام الذي تقوله؟
كنا ندرك أثر هذا عليه وهو أحد العلماء المشهورين في أمريكا يعلم أن البشرية بعد
اكتشاف الميكروسكوب في القرن السادس عشر كان الأطباء طوال القرن السابع عشر
يعتقدون أن الإنسان يخلق خلقاً كاملاً في الحيوان المنوي أي في نطفة الرجل أي في
السلالة التي تخرج من الرجل كما في (الشكل). هذا الشكل رسمه الأطباء في ذلك العصر
ليدلوا على أن الإنسان يخلق خلقاً كاملاً في هذا الحيوان المنوي، واستمر هذا الاعتقاد
إلى القرن الثامن عشر.

ولكن بعد اكتشاف البويضات في القرن ١٨ غير العلماء جميعاً آراءهم قالوا: إن الإنسان
يخلق خلقاً كاملاً في بويضة المرأة لأنها أكبر، وأهم دور الرجل بعد أن أهمل القرن السابع
عشر دور المرأة، وفي منتصف القرن ١٩ فقط بدأ الإنسان، وبدأ العلماء يكتشفون أن
الإنسان يخلق في أطوار.

لذلك لما قيل للبروفيسور مارشال جونسون هذا مذكور في القرآن قبل ١٤٠٠ عام وقف
يصرخ لا لا لا فقمنا إليه وقدمنا له المصحف وقلنا له: تفضل اقرأ وقرأنا عليه قوله سبحانه:

[نوح: ١٤، ١٣] وقرأ ترجمة معناها

باللغة الإنجليزية. ثم قرأنا عليه قول الله سبحانه وتعالى:

[الزمر: ٦] فجلس، قال: لكن هذا يمكن أن يكون له ثلاثة تفسيرات، الأول:

أن يكون صدفة. فجمعنا له أكثر من خمسة وعشرين نصاً ووضعناها بين يديه، وقلنا: كل

هذه النصوص قد تكون صدفة؟ ثم إن القرآن الكريم قد أعطى لهذه الأطوار أسماء هذا

نطفة والذي بعده علقه والذي بعده مضغة والذي بعده العظام والذي بعده كساء العظام

باللحم. إنه سمى هذه الأطوار بأسماء أيكون هذا صدفة؟ فقال: لا. قلنا: فماذا بقي؟ قال:

يمكن أن يقال: إن محمداً عنده ميكروسكوبات ضخمة: قلنا: أنت تعلم أن مثل هذه

الأطوار والدقائق والتفاصيل وما عرفه العلم من تفاصيل هذه الأطوار وذكره القرآن كذلك

هذا لا يتيسر إلا بميكروسكوبات ضخمة جداً والذي عنده هذه الميكروسكوبات الضخمة لا بد أن يكون له تقنية عالية جداً وتنعكس على طعامه وشرابه وحره وسلمه ولا بد أن يتلقى هذا من الجيل الذي قبله، ويسلمه للجيل الذي بعده فضحك بعد ذلك وقال: لقد رأيت في معرض من المعارض أول ميكروسكوب اخترع في العالم. إنه لا يكبر أكثر من عشر مرات، ولا يستطيع أن يظهر الصورة واضحة. لا. لم يكن عند محمد أجهزة ولا ميكروسكوبات فما بقي إلا أن نقول هو رسول من عند الله ثم بعد ذلك تبنى هذه الأبحاث المتعلقة بالإعجاز العلمي وركز في بعض أبحاثه على أطوار الجنين، فبينما كان الدكتور كيث مور وغيره من الدكاترة يتكلمون عن الشكل الظاهري أخذ يقدم بحثه هو عن وصف القرآن الدقيق لشكل الجنين الخارجي ولتركيبات الجنين الداخلية.

وكان مما قاله البروفيسور مارشال جونسون: القرآن في الواقع شرح المراحل الخارجية ولكنه يؤكد أيضاً المراحل التي داخل الجنين أثناء خلقه وتطوره مؤكداً على أحداث رئيسية تعرف عليها العلماء المعاصرون.



الشيخ عبد المجيد الزنداني:

هذا الشكل الذي نراه للمضغة ضمن الأشياء التي قدمها واستدل بها.

تعطينا الشكل الخارجي للجنين إنه يكون مقوساً كما نرى ويكون في نهاية هذا القوس آثار وكأنها طبع الأسنان ليوحي بشكل المضغة ونرى انتفاخات وأخاديد ونرى سطحاً منفرجاً يعطي انطباع المضغة، هذه المضغة طولها ١ سم. لو أننا وضعنا قطعاً منها جئنا نشرح الأجزاء الداخلية سنجد معظم الأجهزة قد تخلق كما هو واضح في هذا الشكل، وسنرى في هذا الشكل الظاهر أمامنا الآن - أن جزءاً من الخلايا قد تخلق، وجزءاً آخر لم يتخلق بعد . إذا أردنا أن نصف هذه المضغة. هذا ما يقوله البروفيسور جونسون - ماذا نقول؟ هل نقول هي مخلقة؟ هذا ينطبق على الجزء الذي تخلق. نقول غير مخلقة؟ سيصدق هذا على الجزء الذي لم يخلق فقط. قال: فلا بد لنا أن نصف المضغة في تركيبها الداخلي بالوصف الذي وصفت به في القرآن فنقول كما قال القرآن:

[الحج: ٥]. ثم جاء بملخص لبحثه هذا فقال: البروفيسور

مارشال جونسون:

إنني كعالم أستطيع فقط أن أتعامل مع أشياء أستطيع أن أراها بالتحديد أستطيع أن أفهم علم الأجنة وتطور علم الأحياء أستطيع أن أفهم الكلمات التي تترجم لي من القرآن كما ضربت لكم أمثلة من قبل. إذا افترضنا أنني نقلت نفسي لتلك الفترة عملاً بما تعلمته حتى اليوم وواصفاً الأشياء. لقد استطعت أن اصف الأشياء التي وصفت. إنني لا أرى شيئاً لا أرى سبباً لا أرى دليلاً على حقيقة تفند مفهوم هذا الفرد محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا بد وأنه يتلقى هذه المعلومات من مكان ما ولذلك إنني لا أرى شيئاً يتضارب مع مفهوم أن التدخل الإلهي كان مشمولاً فيما كان باستطاعته أن يبلغه.

: هذا هو البروفيسور مارشال جونسون الذي بدأ رافضياً لما قلناه من أول وهلة وانتهى به الأمر متبنياً لهذه الأبحاث في عديد من المؤتمرات. عندما سئل عن رأيه في تفسير هذه الظاهرة- ظاهرة ما كشفه العلم من تصديق لما جاء في القرآن والسنة- أجاب بقوله: نعم، إنه الوحي. نعم، لا طريق أمام البشرية إلا أن تقر كما يقر هؤلاء العلماء بأن الله قد أوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم كتاباً أنزله بعلمه ووعد البشرية أثناء سيرها أن تكتشف طوال سيرها ما يدها على أن هذا القرآن من عند الله كما قال تعالى: [صد: ٨٨]. وكما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ

تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧]. وكما قال تعالى:

[فصلت: ٥٣]

[سبا: ٦].



رئيس قسم علم التشريح في جامعة شيانك مي، تايلند
وقد أدلى بشهادته بأن هذا الكلام لا يمكن أن يصدر
من بشر وبعد ذلك نطق بالشهادتين
أقر الدكتور تاجات تاجاسون في هذه الحلقة بأنه: "لا
إله إلا الله محمد رسول الله".

وعقب الشيخ الزنداني بقوله: إنه يعلن الشهادتين، كان هذا في المؤتمر الطبي السعودي الثامن بالرياض، إنه البروفيسور تاجات تاجاسون رئيس قسم التشريح والأجنة في جامعة شيانج ماي بتايلاند والآن عميد كلية الطب بها. بدأت صلتنا بالبروفيسور تاجات تاجاسون عندما عرضنا عليه بعض الآيات والأحاديث النبوية المتعلقة بمجال تخصصه في مجال علم التشريح وعندما أجاب عليها قال لنا: ونحن كذلك يوجد لدينا في كتبنا المقدسة البوذية أوصاف دقيقة لأطوار الجنين فقلنا له: نحن بشوق لكي نعرف هذه الأوصاف ونريد أن نطلع على ما كتب في هذه الكتب. وعندما جاء ممتحناً خارجياً لطلاب الطب في جامعة الملك عبدالعزيز بعد عام سألناه فاعتذر لنا وقال: كنت قد أحببتكم دون أن أتثبت لهذا الأمر ولما بحثت عنه وجدت أنه لا توجد النصوص التي ذكرتها لكم. عندئذٍ قدمنا له محاضرة مكتوبة للدكتور كيث مور وكان عنوان المحاضرة "مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة" وسألناه عن الأستاذ كيث مور هل تعرفه؟ قال: إنه رجل من كبار علماء العالم المشهورين في هذا المجال. وبعد أن اطلع على هذه المحاضرة اندهش أيضاً . وسألناه عدداً من الأسئلة في مجال تخصصه كان منها ما يتعلق بالجلد فأجابنا قائلاً: الدكتور تاجات تاجاسون: نعم، إذا كان الحرق عميقاً دمر عضو الإحساس بالألم. المترجم المناقش: سيهملك أن تعرف أنه في هذا الكتاب المقدس القرآن الكريم إشارة منذ ألف وأربعمائة سنة إلى يوم عقاب الكافرين بعذاب النار في

جهنم ويذكر القرآن أنه عندما ينضج الجلد يخلق الله لهم جلوداً أخرى حتى يذوقوا العقاب بالنار مما يشير إلى حقيقة أطراف الأعصاب في الجلد ونص الآية هو:

[النساء: ٥٦] .هل توافق على أن هذه إشارة إلى أهمية أطراف

الأعصاب في الجلد بالنسبة إلى الإحساس منذ ١٤٠٠ سنة؟ الدكتور تاجاتات تاجاسون: نعم ، أوافق أن هذه معرفة إذا الإحساس عرفت منذ زمن طويل قبل ذلك لأنه مذكور أنه إذا ارتكب أحد خطيئة وعوقب بحرق جلده يخلق الله جلدًا جديدًا ويغطيه لجعله يذوق الألم مرة أخرى هذا يعني أنه كان معروفًا منذ ١٤٠٠ سنة أن مستقبل الإحساس بالألم لا بد وأن يكون في الجلد ولذلك فلا بد أن يخلق لهم جلدًا جديدًا.الشيخ الزناداني: إن الجلد هو مركز الإحساس بالحرق إذا حرق الجلد بالنار فإذا نضج فقد الإحساس، لذلك يعاقب الله الكفار يوم القامة بإعادة الجلد مرة بعد مرة كما قال تعالى:

[النساء : ٥٦] وهكذا ذكرنا له عدداً من الآيات والأحاديث وسألناه بعد

ذلك هل يمكن أن تكون هذه الآيات قد جاءت إلى محمد صلى الله عليه وسلم من مصدر بشري؟

فأجاب: لا يمكن أن يكون ذلك. قلنا: فمن أين جاءت؟ قال: لا يمكن أن تكون مصدرًا بشرياً ولكن أسألکم أنتم من أين تلقى محمد هذه العلوم؟ قلنا له: من عند الله سبحانه وتعالى. فقال لنا: ومن هو الله؟ قلنا له: إنه الخالق لهذا الوجود. إذا رأيت الحكمة، الحكمة تدل على الحكيم، وإذا رأيت العلم في هذا الوجود ذلك على أنه من صنع العليم، وإذا رأيت الخبرة في تكوين هذه المخلوقات دلتك على أنها من صنع الخبير. وإذا رأيت الرحمة شهدت لك على أنها من صنع الرحيم وهكذا إذا رأيت النظام الواحد في هذا الوجود والترابط المحكم ذلك ذلك على أنه من صنع الخالق الواحد سبحانه وتعالى. فأقر بما قلنا، ثم عاد إلى بلاده وألقى عدداً من المحاضرات عن هذه الظاهرة التي رآها واطلع عليها وبلغنا أنه أسلم بعد محاضراته خمسة من طلابه. ثم جاء موعد المؤتمر الطبي السعودي الثامن واستمع في الصالة الكبرى التي خصصت للإعجاز الطبي في القرآن والسنة طوال أربعة أيام لعدد من الأساتذة

من المسلمين وغير المسلمين يتحدثون عن هذه الظاهرة (الإعجاز العلمي في القرآن والسنة). وفي ختام هذه الجلسة وقف البروفيسور تاجاتات تاجسون يقول هذه الكلمات. البروفيسور تاجاتات تاجسون: "في السنوات الثلاث الأخيرة أصبحت مهتماً بترجمة معاني القرآن الكريم الذي أعطاه لي الشيخ عبدالمجيد الزنداني في العام الماضي، ومحاضرات البروفيسور كيث مور التي طلب مني الشيخ الزنداني أن أترجمها إلى اللغة التايلاندية وأن ألقى فيها بعض المحاضرات للمسلمين الذي أعطيته في دراساتي، فإنني أؤمن أن كل شيء ذكر في القرآن منذ ١٤٠٠ سنة لا بد أن يكون صحيحاً، ويمكن إثباته بالوسائل العلمية، وحيث إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يستطيع القراءة والكتابة فلا بد أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول جاء بهذه الحقيقة، لقد بعث إله هذا عن طريق وحي من خالق عليم بكل شيء، هذا الخالق لا بد أن يكون هو الله، ولذلك فإنني أعتقد أنه حان الوقت لأن أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. أخيراً يجب أن أشكركم على جهدكم لإعداد هذا النقاش والذي كان على درجة عالية من النجاح. إن الفقرات التي أعدت (لهذا المؤتمر) يمثل هذا الحجم لا بد وأنها كانت صعبة جداً لقد اهتمت كثيراً ليس بالجانب العملي فقط ولكن بالأمانة العظيمة التي أصبحت لي لزيارة العلماء وتكوين صداقات جديدة. إن أؤمن شيء اكتسبته باعتراف هذه العقيدة هو (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فأصبحت مسلماً". الشيخ الزنداني: وصدق الله القائل:

[النمل: ٩٣]

[سبأ: ٦]

Á

الحقائق التي في البحار والمحيطات

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:



هذا هو البروفيسور هاي خرجنا معه في رحلة بحرية ليرينا بعض الظواهر البحرية المتعلقة بموضوع أبحاثنا معه عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. فالبروفيسور هاي من أشهر علماء البحار في أمريكا، سألناه عن كثير من الظواهر البحرية التي تتعلق بسطح البحر، والتي تتعلق بالحد الفاصل بين البحر السطحي وبين البحر العميق، والتي قد تتعلق أيضاً بقاع البحار وجيولوجيا البحار. سألناه عن هذا كله، وسألناه عن الحواجز المائية بين البحار المختلفة، وعن الحواجز المائية بين مياه البحار والأنهار. سألناه عن هذا كله وكان يجيبنا بتفصيل، وعندما تعرضنا لشرح الحواجز بين البحار المالحة وضع لنا أن البحار المالحة ليست كما تشاهدها العين بجرماً واحداً، إنها بحار مختلفة، تختلف في درجة الحرارة، والملوحة والكثافة. كما نرى في هذه الشريحة. حيث نرى فيها خطوطاً بيضاء تمثل الحواجز بين الكتل البحرية، وكل حاجز يفصل بين كتلتين بحريتين مختلفتين فيما بينهما، في الحرارة والملوحة والكثافة، والأحياء المائية وقابلية ذوبان الأوكسجين. هذه الصورة أول ما عرفت في عام ١٩٤٢ بهذا الشكل بعد أن أقام العلماء مئات المحطات المائية في البحار لدراسة خصائص البحار. وهي توضح حداً فاصلاً بين البحر الأبيض المتوسط وبين المحيط الأطلنطي. في الوسط الذي في الصورة مثلث

هو عتبة جبل طارق أسفل وهذه منطقة جبل طارق نرى فيها كيف يوجد الحد الفاصل، وهو مبین باللون بين الكتلتين المائيتين يفصل بينهما. هذا أمر لا تشاهده الأَبصار ولكنه أصبح الآن حقيقة واضحة وتتطور الأقمار الصناعية ودراستها واستشعارها من بعد تمكنت هذه الأقمار الصناعية أن تصور هذه المناطق البحرية، الحدود البحرية بين الكتل المختلفة. كما نرى في هذا الشكل الذي التقط بالأقمار الصناعية بالخاصية الحرارية فظهرت البحار بألوان مختلفة، كما نرى بعضها بلون أزرق فاتح وبعضها بلون أزرق قاتم وبعضها بلون أسود وبعضها بلون يميل إلى الأخضر. هذه الألوان المختلفة السبب فيها اختلاف درجات الحرارة على سطح البحار، ولكنك لو وقفت على سطح البحر لا ترى. لا ترى إلا ماءً أزرق في كل هذه البحار والمحيطات. إنها حواجز لا ترى إلا بالدراسة وبالتقنية الحديثة. لقد كان المفسرون وهم يتعرضون لتفسير هذه الآية يقفون أمام منهجية أو رأيين متميزين، جمهور المفسرين كانوا يقولون في تفسير قوله تعالى:

[الرحمن: ١٩، ٢٠]. كما رأينا هذه البرازخ الآن التي تفصل بين البحار، لكن كما

قلت ظهر في كتب التفسير رأيان بارزان، رأي الجمهور في قوله تعالى:

[الرحمن: ١٩] قالوا مرج معناها: خلط هكذا في اللغة "مرج البحرين يلتقيان" أي

يلتقي بعضها مع بعض ويختلطان. "بينهما برزخ" أي حاجز "لا يبغيان" رأي: لا يطغى أحدهما على الآخر. الرأي الثاني قالوا: كيف يكون بينهما برزخ؟ وكيف يوصفان بأنهما لا يبغيان؟ وتقولون: إن مرج معناها خلط، كيف يختلطان وبينهما برزخ؟ قد نفى الله جل وعلا بغي أحدهما على الآخر، فقالوا: إذاً الاختلاط لا يتم، وبحثوا عن معنى آخر للفظ مرج الذي يدل على الخلط ولكن رد عليهم الجمهور بأن استدلالهم غير صحيح، فجاءت هذه العلوم وكشفت هذه الدقائق. نعم، البحار تختلط ببعضها مع بعض، كما رأينا، فمياه البحر الأبيض تدخل في مياه المحيط الأطلنطي، ومياه المحيط تدخل مياه البحر الأبيض، وبينهما برزخ مائي بدرجة مائلة. هذا البرزخ ينتقل فيه ماء كل من البحرين إلى البحر الآخر. ولكنه أثناء انتقاله يفقد خصائصه ويتجانس مع البحر الذي يدخل فيه، فإذا دخل ماء البحر الأبيض إلى ماء المحيط أخذ صفات المحيط، وإذا دخل ماء المحيط إلى ماء البحر الأبيض أخذ بالتدريج في هذا البرزخ صفات البحر الأبيض، فلا يبغي أحدهما على الآخر. فتأمل كيف

تأتي الكشوف، ويتقدم علم الإنسان، وتتجلى آيات الإعجاز: تكلمنا مع البروفيسور هاي عن هذه الظواهر، وعن هذه الآية غيرها، ثم في النهاية وجه له السؤال. ما رأيك في هذه الظاهرة؟ نصوص نزلت قبل ١٤٠٠ عام تصف دقائق لا يمكن لبشر أن يعرفها في ذلك الزمان، وجاء العلم اليوم شاهداً بها مبيناً لدقائقها فما هو رأيك؟ فجرت معه هذه المحادثة. البروفيسور هاي: إنني أجد من المثير جداً أن هذا النوع من المعلومات موجود في آيات القرآن الكريم، وليست لدي طريقة أعرف بها من أين جاءت، ولكنني أعتقد أنه من المثير للغاية أنها موجودة فيه، وأن العمل مستمر لكشف معاني بعض الفقرات. المترجم: إذن فقد أنكرت تماماً أنها من مصدر بشري: ممن إذن يأتي في اعتقادك أصل أو مصدر هذه المعلومات؟

البروفيسور هاي: أعتقد أنه ولا بد أن يكون من الله. الشيخ الزنداني: حقاً إنه العلم الإلهي الذي أيد الله به محمداً صلى الله عليه وسلم ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة" إنه وحي فيه المعجزة، وفيه البينة للبشرية إلى قيام الساعة.

[سبأ: ٦]

أحد أكبر جيولوجيي العالم المشاهير , وهو أستاذ علم طبقات الأرض ورئيس قسم علم طبقات الأرض في معهد جوسينسيس، جامعة يوهانز جوتينبيرج، مينز، ألمانيا. قال: من



أين جاء محمد بهذا. . . أعتقد إنه من شبه المستحيل بأنه كان يمكن أن يعرف حول هذه الأشياء مثل الأصل المشترك للكون، لأن العلماء اكتشفوا ذلك فقط ضمن السنوات القليلة الماضية، بالطرق التقنية المعقدة والمتقدمة جدا

عن تصريحات البروفيسور كرونر بشأن الأخبار القرآنية عن الجيولوجيا وتكون الأجرام البروفيسور ألفريد كرونر: إن كثيراً من القضايا المعروضة في ذلك الوقت لم يكن من الممكن إثباتها ولكن الوسائل العلمية الحديثة الآن في وضع تستطيع فيه أن تثبت ما قاله محمد صلى الله عليه وسلم منذ ١٤٠٠ سنة.

الشيخ عبدالمجيد الزناداني: هذا هو البروفيسور ألفريد كرونر من أشهر علماء العالم في الجيولوجيا اشتهر بين العلماء بنقده لنظريات أكابر علماء العالم في علم الجيولوجيا. التقينا به وعرضنا عليه عدداً من الآيات وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجاب عليها وناقشناه فيها فقال: البروفيسور كرونر: إن التفكير في كثير من مسائل الجيولوجيا ونشأة الأجرام من أين جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان بدوياً على أية حال يجعلنا نعتقد أنه من المستحيل أن يكون قد عرفها بنفسه أو بمعارف عصره لأن العلماء اكتشفوا ذلك فقط خلال السنوات القليلة الماضية بوسائل معقدة جداً ومتقدمة جداً تكنولوجياً. الشيخ عبدالمجيد الزناداني: ولقد اختار مثلاً للتدليل على أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون قد جاء من عند محمد النبي الأمي. كان المثل الذي اختاره البروفيسور ألفريد هو المتعلق بوصف القرآن للبداية الواحدة لهذا الكون والمتعلقة بقول الله تعالى:

[الأنبياء: ٣٠] كما قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما رضي الله عنهما

كانتا ملتزقتين أو ملتصقتين ففصلتا. ضرب البروفيسور كرونر مثلاً بهذه الآية لبيان أن هذا لا يمكن أن يكون من عند محمد ولا يمكن أن يكون من المعلومات البشرية في عصره. البروفيسور كرونر: وشخص لا يعرف عن الفيزياء النووية منذ ١٤٠٠ سنة ما كان له في رأيه أن يكون في وضع يكشف فيه بعقله هو مثلاً أن الأرض والسماوات كانت لهما نفس الأصول أو كثيراً من المسائل الأخرى التي ناقشناها هنا. الشيخ عبدالمجيد الزناداني: لقد كان البروفيسور كرونر لا يترك لنا فرصة يمكنه أن يفر منها إلا فر سأذكر مثلاً على ذلك ونحن نتناقش معه كيف كانت بلاد العرب لقد سألناه: هل كانت بلاد العرب بساتين وأنهاراً؟ فأجاب: نعم، فقلنا: متى كان هذا؟ قال: في العصر الجليدي الذي مر بالأرض إن الجليد يتراكم في القطب المتجمد الشمالي ثم يزحف نحو الجنوب فإذا اقترب من جزيرة

العرب قريباً نسبياً طبعاً تغير الطقس وتكون بلاد العرب من أكثر بلاد العالم بساتين وأثماراً، قلنا له: وهل ستعود بلاد العرب بساتين وأثماراً؟ قال: نعم، هذه حقيقة علمية. فعجبنا كيف يقول هذه حقيقة علمية وهي مسألة تتعلق بالمستقبل. فسألناه: لماذا؟ قال: لأن العصر الجليدي قد بدأ، فهذه الثلوج ترحف من القطب المتجمد الشمالي مرة ثانية نحو الجنوب وهي في طريقها لتقترب من المناطق القريبة من بلاد العرب. ثم قال: إن من أدلتنا على ذلك ما تسمعون عنه من العواصف الثلجية التي تضرب في كل شتاء المدن الشمالية في أوروبا وأمريكا. هذه من أدلة العلماء على ذلك، لهم أدلة كثيرة إنها حقيقة علمية. فقلنا له: إن هذا الذي تذكره أنت لم يصل إليه العلماء إلا بعد حشد طويل من الاكتشافات وبعد آلات دقيقة يسرت لهم مثل هذه الدراسات لكننا قد وجدنا هذا مذكوراً على لسان محمد النبي الأمي قبل ١٤٠٠ عام. قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه مسلم: (في الزكاة باب ١٨ حديث ٦٠): "لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأثماراً" أي بساتين وأثماراً فقلنا له: من قال لمحمد صلى الله عليه وسلم أن بلاد العرب كانت بساتين وأثماراً؟ فأجاب على الفور قال: الرومان فتذكرت قدرته على التخلص من المآزق فقلنا: إذا نوجه له سؤالاً آخر فقلنا له: ومن أخبره بأنها ستعود مروجاً وأثماراً؟ لقد كان يفر إذا أخرج وإذا وجد فرصة، ولكنه إذا وجد الحقيقة يكون شجاعاً ويعلم رأيه بصراحة قال: إن هذا لا يمكن أن يكون إلا بوحى من أعلى. وبعد مناقشتنا معه علق على هذه المناقشة بكلمته هذه:

البروفيسور كرونر: أعتقد أنك لو جمعت كل هذه الأشياء وجمعت كل هذه القضايا التي بسطت في القرآن الكريم والتي تتعلق بالأرض وتكوين الأرض والعلم عامة، يمكنك جوهرياً أن تقول: إن القضايا المعروضة هناك صحيحة بطرق عديدة، ويمكن الآن تأكيدها بوسائل علمية، ويمكن إلى حد ما أن نقول: إن القرآن هو كتاب العلم المبسط للرجل البسيط وإن كثيراً من القضايا المعروضة فيه في ذلك الوقت لم يكن من الممكن إثباتها. ولكنك بالوسائل العلمية الحديثة الآن في وضع تستطيع فيه أن تثبت ما قاله محمد صلى الله عليه وسلم منذ ١٤٠٠ سنة. الشيخ الزنداني: وصدق الله القائل في كتابه:

[ص: ٨٧، ٨٨].

[سبأ: ٦] .



البروفيسور يوشيو دي كوزان: "قلت: إنني متأثر جداً باكتشاف الحقيقة في القرآن".
الشيخ الزناداني: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إنه يتكلم بلغته الأصلية اللغة اليابانية إنه البروفيسور يوشيو دي كوزان مدير مرصد طوكيو عرضنا عليه عدداً من الآيات المتعلقة بوصف بداية الخلق وبوصف السماء وبعلاقة الأرض بالسماء فلما قرأ معاني هذه الآيات وسألنا عن القرآن وعن زمن نزوله فأخبرنا أنه نزل منذ ١٤٠٠ عام وسألناه نحن عن هذه الحقائق التي تعرضت لها هذه الآيات فأجاب وكان بعد كل إجابة يجيب بها نعرض عليه النص القرآني. ولقد عبر عن دهشته فقال: "إن هذا القرآن يصف الكون من أعلى نقطة في الوجود فكل شيء أمامه مكشوف إن الذي قال هذا القرآن، يرى كل شيء في هذا الكون، فليس هناك شيء قد خفي عليه". . سألناه عن الفترة الزمنية التي مرت بها السماء يوم أن كانت في صورة أخرى فأجاب: لقد تضافرت الأدلة وحشدت وأصبحت الآن شيئاً مرئياً مشاهداً نرى الآن نجوماً في السماء تتكون من هذا الدخان الذي هو أصل الكون كما نرى في (هذا الشكل): هذه الصورة حصل عليها العلماء أخيراً بعد أن أطلقوا سفن الفضاء إنها تصور نجماً من النجوم وهو يتكون من الدخان. انظروا إلى الأطراف الحمراء للدخان الذي في بداية الالتهاب والتجمع وإلى الوسط الذي اشتدت به المادة وتكدست فأصبح شيئاً مضيئاً وهكذا النجوم المضيئة كانت قبل ذلك دخاناً وكان الكون كله دخاناً. وعرضنا عليه الآية وهي قول الله جل وعلا:

[فصلت: ١١]. إن بعض العلماء يتكلمون عن هذا الدخان فيقولون إنه ضباب فيين البروفيسور يوشيو دي كوزان أن لفظ الضباب لا يتناسب مع وصف هذا الدخان، لأن الضباب يكون بارداً وأما هذا الدخان الكوني فإن فيه شيئاً من الحرارة. نعم، الدخان عبارة عن غازات تعلق فيها مواد صلبة. ويكون معتماً وهذا وصف الدخان الذي بدأ منه الكون. قبل أن تتكون النجوم كان عبارة عن غازات تعلق فيها مواد صلبة وكان معتماً. قال: وكذلك كان حاراً، فلا يصدق عليه وصف الضباب، بل إن أدق وصف هو أن نقول: هو دخان.

وهكذا أخذ يفصل فيما عرض عليه من آيات وأخيراً سألتها: ما رأيك في هذه الظاهرة التي رأيته بنفسك، العلم يكشف بتقدمه أسرار الكون، فإذا بكثير من هذه الأسرار قد ذكرت في القرآن أو ذكرت في السنة هل تظن أن هذا القرآن جاء إلى محمد صلى الله عليه وسلم من مصدر بشري؟ كما نرى هذه المحاورة معاً. البروفيسور يوشيو دي كوزان: وقبلنا كان هؤلاء الفلكيون المعاصرون يدرسون تلك القطع الصغيرة في السماء. لقد ركزنا مجهودنا لفهم هذه الأجزاء الصغيرة لأننا نستطيع باستخدام التلسكوب أن نرى كل الأجزاء الرئيسية في السماء، ولذلك أعتقد أنه بقراءة القرآن وبإجابة الأسئلة أنني أستطيع أن أجد طريقاً في المستقبل للبحث في الكون. الشيخ عبدالمجيد الزنداني: قال كما رأينا لا. لا يمكن أن يكون من مصدر بشري. وقال: إننا نحن العلماء نركز على جزء صغير في دراستنا، أما من يقرأ القرآن فإنه يرى صورة واسعة لهذا الكون. قال: إنني عرفت منهجاً جديداً في دراسة الكون لا بد أن ننظر إليه نظرة شاملة لا أن ننظر إليه من هذه النقطة الضيقة الجزئية المحدودة. قال: إنني سأنتهج هذا المنهج وقد عرفت بعد أن قرأت القرآن وهذه الآيات المتعلقة بالكون عرفت مستقبلي، أي إنني سأخطط أبحاثي على هذه النظرة الشاملة التي استفدتها من كتاب الله.

سبحانك يا رب سبحانك ها هم علماء الشرق وعلماء الغرب يحنون رؤوسهم إجلالاً لهذا الكتاب الكريم، هذه حجة محمد صلى الله عليه وسلم. هذه هي معجزته الباقية المتجددة، هذه هي المعجزة الحية التي تقنع المسلمين وغير المسلمين وتقع الأجيال إلى يوم الدين.

.. [النساء: ١٦٦]

[النمل: ٩٣].

[سبأ: ٦] ^(١).

^١ - هذا المبحث من كتاب إنه الحق لشيخ عبد المجيد عزيز الزنداني مع بعض التصرف.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد
فإن البحوث القاصرة والتي يقصد بها البحوث غير المكتملة بالضوابط العلمية، لها آثار سلبية كثيرة
وقبل إظهارها نبين معنى الإعجاز العلمي:
المقصود بالإعجاز العلمي: «إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية عن حقيقة علمية أثبتها العلم
التجريبي وثبت عدم إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم»^{٥٥}
وقصور أبحاث الإعجاز العلمي يكون من عدة نواحي منها:

يقوم بعض من يريد تشويه الإسلام والإعجاز العلمي بوضع معلومات كاذبة وتلقاها
المنتديات في الإنترنت وبعض الكتب وتقوم بنشرها على أنها إعجاز علمي وليست هي إلا
خرافة وأحياناً يقوم بعض الدعاة بنشرها على أنها إعجاز وبعد الفحص والتأكد نجد أن
المعلومات غير صحيحة فهذا يجرح الأخ الداعية والمتسرع في نقل تلك المعلومات وقد جاء
عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: " ^{٥٥}

جهاز تخطيط القلب يرسم اسم (الله)!! «هذه أكذوبة يساهم في نشرها بعض
الإخوة بسبب عدم علمهم بأساليب المستهزئين، فقد انتشرت على المنتديات الكثير من
"المعجزات الوهمية" التي أضرت كثيراً بالإعجاز العلمي. فتارة تأتي معلومة تقول إن القلب
يصدر ترددات رسمت اسم (الله) على جهاز التخطيط، وتارة يقولون عثرنا على فتاة على
أذنها اسم (الله) أو أنهم وجدوا اسم (الله) على غنمة أو نبتة أو ثمرة أو على سطح القمر أو
غير ذلك.

وكل هذه الأشياء سواء كانت صحيحة أم خاطئة فالمؤمن في غنى عنها، لأن قدرة الله
أكبر بكثير من ذلك، والله قادر على أن يجعل اسمه على كل شيء، ولكن الله أودع في كل

١ - تأصيل الإعجاز العلمي، ١/٥.

٢ - أخرجه مسلم، ١/٨، برقم: ٧٠٧.

ذرة وفي كل خلية وفي كل شيء من حولنا نظاماً محكماً يشهد على عظمة ووحدانية الخالق عز وجل»^{٤٥}.

فهذه المعلومات وأمثالها لا يمكن أن تتقبلها إلا بعد التأكد من مصدرها وإذا ما تم التأكد من المصدر نبحت حول هذه المسألة هل لا زالت قيد البحث ولا زالت نظرية علمية أم أنها وصلت إلى مرتبة الحقيقة العلمية ثم بعد ذلك نضع قواعد الإعجاز العلمي على هذه المسألة وأمثالها هل هي صورة تدعوا للتفكير والتأمل فقط ولا تسمى معجزة علمية وللتذكير فإن تعريف الإعجاز العلمي الذي اتفق عليه في مؤتمر تأصيل الإعجاز العلمي هو: «إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية عن حقيقة علمية أثبتها العلم التجريبي وثبت عدم إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم»^{٤٦}

وأمثلة ذلك

سرت شائعة قوية عن فتاة عمانية تحولت إلى حيوان زاحف بسبب استهزائها بالقرآن الكريم و وصل الأمر إلى حد توزيع منشورات لصورة الفتاة المزعومة في المدن و القرى المختلفة و نشرها في الصحف و المثير في الموضوع أن الإشاعة لم تقف حدودها عند دولة معينة بل أصبحت حديث الجماهير العربية في كل مكان.

ووصلت الأمور بعد ذلك إلى توزيع منشورات تروج على أنها معجزة إلهية بدأت الكتابة عن هذه القصة على أحد المنتديات في الانترنت و المنتدى وأصحابه يكتبون بأسماء مستعارة ولا يأتون بمصادر كلامهم و رغم ذلك باتت مصادر تعتمد عليها وكالات الأنباء والمواقع الأخرى والصحف في نقل الأخبار و الموضوعات. و بدأت القصة عندما كتب أحد الذين يجهلون الإسلام و أخلاق المسلمين خيراً على أحد المنتديات مضمونه أن فتاة من عمان كانت تتابع قناة غنائية فضائية على الدش بينما كانت أمها تقرأ القرآن الكريم و قالت لأمها: أزعجتينا بالقرآن اذهبي إلى مكان آخر فأصرت الأم على البقاء في مكانها فاندفعت الفتاة و أخذت المصحف و رمت به على الأرض فذهبت الأم و حملت المصحف و وضعت على صدرها فسقطت ابنتها على الأرض ومسحها الله سبحانه وتعالى على شكل حيوان زاحف يشبه القرد و توجد الفتاة بإحدى مستشفيات

١- موقع عبد الدائم عبد الكحيل بعنوان مقالات ملفقة في الإعجاز العلمي والرباط هو

<http://kahoot.com/modules.php?name=News&file=article&sid=>

٢- تأصيل الإعجاز العلمي، للشيخ عبد المجيد الزنداني وغيره من العلماء، ١/٥.

مسقط.. و قد أرفق كاتب القصة صورة شخصية للفتاة بعد مسحها وتناقلتها بقية المنتديات.

فهذه القصة وأمثالها أولاً قبل نقلها ينبغي التحري منها وأمثالها معرفة مصدرها

: لو ثبت مثل هذه القصة فليس هذا بشيء مستحيل على الله لكن ماذا نسمي هذا الشيء لا يمكن أن نسميه إعجازاً علمياً أو معجزة علمية ونحن نعرف أن لكل علم قواعد وأصول وللإعجاز العلمي قواعد اتفق عليها العلماء ومع أن لكل علم مختصون فللإعجاز مختصون فينبغي الرجوع إليهم واستفسارهم واستشارتهم أو الاستفسار منهم فيما أشكل، إذا أمتك أسنانك طبعاً فإنك لن تذهب لطبيب القلب بل ستذهب لطبيب الأسنان وستجد عنده العلاج الأمثل لمرضك بينما لن تجد هذا العلاج عند طبيب القلب أو عند البيطري أو عند الصياد فإذا عندك احترام لكل علم وكل تخصص في هذا العلم فينبغي كذلك احترام علوم الشريعة والمتخصصين فيها وستجد الجواب الناجع لكل مسألة. فالعلمانيون ومن سار في طريقهم يفرحون عندما يجدون مثل هذه القصص ويتخذونها ذريعة للاستهزاء ويقولون أنظروا إلى الإسلاميين أين المصدر لهذه القصة وقد يكون أحدهم هو من وضع تلك الصورة وتلك الكذبات والتي تلقفها بعض الجهال وبعض المنتديات التي تعشق كل ما كان غريب وعجيب ولو كان كذبا.

الإعجاز العلمي جاء ليثبت للعالم اليوم في عصر الأبحاث العلمية والمدارس والجامعات أن كل شيء جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن محمداً رسول الله وأن ما جاء به من عند الله فإذا ما أخذنا بالأبحاث القاصرة أو التي لا تزال في مراحل النظريات وأثبت العلم خلافها ستكون النتيجة هدم الأصل الذي جاء به الإعجاز العلمي وستكون وسيلة لتكذيب الكتاب والسنة وإذا التزمنا بقواعد الإعجاز العلمي التي وضعها العلماء المسلمون فعند ذلك سيكون الأمان من الوقوع في الخطأ وستتجلى معجزة الله سبحانه وتعالى التي أخبرنا بإظهارها في قوله تعالى:

[فصلت: ٥٣]

القصور في العلم الشرعي سواء في اللغة العربية أو علم الأصول أو التفسير وبقية علوم الآلة يثمر التخرص والقول على الله بغير علم بسبب الجهل، والجهل: «اعتقاد الشيء على

خلاف ما هو عليه أو الجهل المركب والذي هو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع»^(١)

فهو يرى مسألة أنها معجزة أو أنها تشير إلى دلالة معينة وإذا تم التأكد من هذه الدلالة وجد أنها ليست في قواميس اللغة العربية ولا قال بها أحد من السلف ويقول أنها المرادة في تفسير الآية أو الحديث وهو قول على الله بغير علم لأن المتخصص في هذا الفن يفسر الآية أو يشرح الحديث أو يبين المعاني حسب الضوابط التي وضعها علماء الشريعة والمختصين في هذا الجانب.

ومن أمثلة هذا الكلام عن الإعجاز العددي فنجد الكثير من المآخذ عليه والسبب في ذلك البحوث الناقصة والقاصرة في هذا الموضوع مما أساءت إليه بدلا من أن يكون رافدا من روافد العلم المعاصر بل ومن العلماء من أنكر هذا العلم وكذلك بعض أبحاث الإعجاز العلمي تجرد فيها من القصور مما يؤدي إلى اعتراض علماء الشرع عليه وسحب الثقة عن البحث.

١- المعجم الوسيط، ١/١٤٤.

١	مقدمة
٣	÷ ÿ à ÀÀÿî yÉ
٤	الإعجاز العلمي والدعوة إلى الله
٤	المقصود بالإعجاز
٤	المقصود بالعلمي
٤	الإعجاز العلمي
٤	الدعوة إلى الله
٥	الدعوة إلى الله
٧	
٧	أولاً: دور المعجزات المشاهدة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم
٢٢	ثانياً: الإعجاز العلمي هي المعجزة المتجددة في عصرنا وتثمر اليقين
٢٤	الإعجاز العلمي في تصحيح مسار العلم التجريبي
٢٤	أولاً: تعريف العلمانية
٢٥	أسباب الصراع بين الكنيسة والعلم
٤٧	موقف العلم المعاصر تجاه الدين في القرن التاسع عشر
٥٠	التي هي
٥١	ظهور المعجزة العلمية في هذا العصر
٥٢	العلمانية تتنافى مع الإسلام من جهتين
٥٣	كيف دخلت العلمانية العالم الإسلامي
٥٤	أهمية الإعجاز العلمي بين المسلمين
٥٤	الأول: تقوية الإيمان وتثبيته
٥٦	قصة تبين أثر الإعجاز في تقوية الإيمان وتثبيته
٥٩	<u>الثاني</u> : رفع الإشكال في الأحاديث المشكّلة

- ٦٥ حديث الحبة السوداء.....
- ٧٧ أهمية الإعجاز بين المسلمين.....
- ٧٧ الاستفادة من الأبحاث في القرآن والسنة في كل النواحي.....
- ٧٧ الاستفادة من الناحية الاقتصادية.....
- ٧٧ المثال الأول: حديث عودة بلاد العرب مروجاً وأهلاً ١ ١ ١
- ٨٠ المثال الثاني: الاستفادة في طريقة حفظ الحبوب ١ ١ ١ ١ ١
- ٨١ المثال الثالث: الطاء ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١
- ٨٢ الاستفادة من الناحية السياسية.....
- ٨٢ الاستيلاء على أرض الهنود الحمر (الأمريكتين حالياً).....
- ٨٤ الاستفادة من الناحية الطبية.....
- ٨٤ مثال ذلك حديث الحبة السوداء.....
- ٨٦ أهمية الإعجاز العلمي مع غير المسلمين.....
- ٨٦ العلوم التجريبية هي طريقة أهل عصرنا الموثوقة لمعرفة الحقائق ١ ١ ١
- ٨٩ أن القرآن والسنة حث على العلم وعلى العلوم الكونية ١ ١ ١ ١
- ٩٠ نماذج عن المتأثرين بالإعجاز العلمي والذين أسلموا بسببه.....
- ٩١ نماذج من المتأثرين بالإعجاز العلمي في الجانب الطبي.....
- ٩١ المثال الأول: كيث آل مر ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١
- ٩٥ المثال الثاني: مارشال جونسون ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١
- ٩٩ البروفيسور تاجات تاجال ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١
- ١٠٢ نماذج من المتأثرين بالإعجاز العلمي في جانب البحار.....
- ١٠٢ البروفيسور وليام دبليو هاي ١ ١ ١ ١ ٠.٠.....
- ١٠٤ نماذج من المتأثرين بالإعجاز العلمي في الجانب الجيولوجي.....
- ١٠٤ البروفيسور ألفريد كرونير ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١
- ١٠٧ نماذج من المتأثرين بالإعجاز العلمي في جانب الفلك.....
- ١٠٧ البروفيسور يوشيهيدي كوزا ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١

- ١١٠ البحوث القاصرة في الإعجاز وآثارها السلبية
- ١١٠ القصور من الناحية العلمية في دقة المعلومات "العلمية" ١ ١ ١ 0
- ١١٠ نموذج للقصور من الناحية العلمية ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١

[Redacted header text]

	#	# #		
	!	#		
alfhdea@gmail.com				



" fl Ł
 ' alfhdea@gmail.com'

& & & " ¿